وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة يحي فارس بالمدية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

سقوط مدينة تيهرت (296 هـ/-909م) وتداعياتها على الجماعات الاباضية

مذكّرة مقدّمة للحصول على شهادة الماستر في تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط.

إعداد الطالبين:
- نبيل مصايف
- بلقاسم شيخ.

إشراف الأستاذ:
- د. عبد النور العمري.

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الصفة
د. حمزة حاجي	محاضر أ	رئيسا.
د. عبد النور العمري.	محاضر أ	مشرفا ومقررا.
أ. بشير يزير	مساعد ب	عضوا مناقشا.

السنة الجامعية: 1441-1442هـ/ 2020-2021م.

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة يحي فارس بالمدية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

سقوط مدينة تيهرت (296 هـ /-909م) وتداعياتها على الجماعات الاباضية

مذكّرة مقدّمة للحصول على شهادة الماستر في تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط.

إعداد الطالبين:
- نبيل مصايف
- بلقاسم شيخ

إشراف الأستاذ:
- د. عبد النور العمري

السنة الجامعية: 1441-1442هـ/ 2020-2021م.


بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه سبحانك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك خلقت فأبدعت، وأعطيت فأفضت، فلا حصر لنعمك ولا حدود لفضلك، وصلى الله وسلم على أشرف عبادك وأكمل خلقك خاتم المرسلين ومعلم المعلمين نبينا ورسولنا محمد بن عبد الله الأمين، خير من علم وأفضل من نصح.

اللهم لا تدعنا نصاب بالغرور إذا نجحنا ولا نصاب باليأس إذا فشلنا بل ذكرنا دائما أن الفشل هو التجربة التي تأتي قبل النجاح.

نشكر الله سبحانه وتعالى أن وفقنا في إنجاز هذا البحث.

كما نتقدم بعد ذلك بالشكر الجزيل إلى أستاذنا المشرف "عبد النور العمري" الذي ساندنا و وقف معنا في إنجاز هذا البحث وقدم لنا التوجيهات العلمية والمنهجية فكان له الفضل الكبير في إخراج هذا العمل للوجود.

كما نتقدم بالشكر إلى جميع أساتذة التاريخ بجامعة يحي فارس بالمدية.

نهدي عملنا المتواضع إلى كل عائلة "شيخ" وعائلة "مصايف" كل بإسمه

إلى الوالدين الكريمين أطال الله عمرهم و إلى كل إخوتي.

إلى روح المرحوم "وطيات علي" رحمه الله.

إلى أخي "شيخ محمد" الغائب عنا أرجعه الله إلينا بالسلامة.

إلى أمي.... سليلة روحي و بلسم فؤادي حفظها الله

إلى أبي.... منهجي وإعتزازي حفظه الله

الطالبان: بلقاسم ونبيل.

الرمز	المعنى
تر	ترجمة
تح	تحقيق
تق	تقديم
ع	العدد
ج	الجزء
مج	المجلد
ط	الطبعة
د د ن	دون دار النشر
د ت	دون تاريخ
ص	الصفحة
ص - ص	صفحات متتالية
م	ميلادي
هـ	هجري

مقدمة

التعريف بالموضوع:

بعدما استقرار الإباضيين في المشرق، توجهت أنضارهم نحو المغرب الإسلامي لنشر مذهبهم وبالتحديد المغرب الأوسط، فتوجهوا نحوه واستقروا فيه، ومنه قام عبد الرحمان بن رستم بتأسيس أول دولة اباضية مستقلة بالمغرب الأوس، وانشئ لها مأسسها وبادئها، ووضع تيهرت عاصمة لها، فإستمرت الدولة قرن وربع، وتولى حكمها ثمانية أئمة، الأولون منهم تميزوا بالقوة والحزم والحنكة السياسية، أولهم الإمام عبد الرحمان بن رستم (160-171هـ/777-787م) الذي وضع أركان الدولة ورتب قاعدتها الأولى وشؤونها، وخلفه من بعده عبد الوهاب (171-190هـ/787-805هـ) والذي نهج سيرة أبيه في التنضيم والتشييد، وتمكن من القضاء على الفتن والإنقسامات الداخلية.

وبعد وفاته تركها لإبنه أفلح بن عبد الوهاب (190-240هـ/805-854م) والذي إتبع سياسة أبيه حيث يعتبر عصره من أرقى العصور، حيث شهد إزدهارا كبيرا شمل مختلف المجالات حيث إنتشرت التجارة وإزدهر الإقتصاد وعم الإستقرار بين أفراد المجتمع الرستمي، وساد الأمن والسلام في أركان الدولة، لكن مع عهد الإمام أبي بكر بن أفلح (240-241هـ/854-855م) بدأت تشهد الدولة الضعف وتراجع في قوتها مع حدوث نزاعات بين عناصر المجتمع الرستمي بسبب الإختلافات في الافكار العقائدية وأسس المذهب الإباضي، مما أدى إلى إنتشار الآفات الإجتماعية بكل أنواعها.

كل ذلك جعل الإمام أبي بكر يتنازل عن الحكم لأخيه أبي اليقضان بن أفلح (241-281هـ/855-894م) الذي عمل جاهدا لتحسين الأوضاع الداخلية للدولة الرستمية وإنقاذها من الإنهيار، ويسطر سياسة رشيدة حسنت الأحوال العامة واستتبت الأوضاع، وإستمر الحكم لإبنه أبي حاتم (281-294هـ) الذي نشب صراع بينه وبين عمه اليعقوب لمدة أربع سنوات ولم يتم الصلح بينهما إلا بعدما عمت الفتن والفوضى داخل العاصمة، لكن أبناء عمومته وإخوته تآمروا عليه فقتل غدرا (214هـ/906م)، ثم خلفه أبو اليقضان (294-296/906-909)، الذي شهد عهده فتن وعدم إستقرار، وفي هذه الفترة تمكن عبد الله الشيعي من الاستحواذ على العاصمة تيهرت وسقطت الدولة الرستمية على أيدي الفاطميين وحينها إنتهت الدولة الإباضية وتدهورت أوضاعها.

بعدها فر الإباضيون بمذهبهم إلى أماكن بعيدة في منأى عن الأخطار، كما حافظوا على تراثهم الفكري، وكتبهم المذهبية رغم الحروب التي خاضوها والظروف التي عاشوها على يد شيعة الفاطميين الذين عملوا على طمس الإمامة الإسلامية والقضاء عليها. فلظروف التي عاشوها الإباضيون في تيهرت شتتهم وانعزلوا وتفرقوا عبر الارجاء، فكان توجههم إلى المشرق أكبر من المغرب، وقد عملوا على الحفاظ على مذهبهم وتعاليمه، فلا عرف فرقة من الفرق تاريخيا من حافظت على كيانها ليومنا هذا مثل الإباضية،

حيث عملوا على تدريس مذهبهم في الحلقات والمجالس التي فروا إليها، كما تواصلوا إلى وضع نظام سمي بنظام العزابة، وساروا عليه ونظموا به أمورهم، وحل محل السلطة الحاكمة كما أنشؤا مجالس دعوة إلى مذهبهم وتثبيت أواصره في أوساط أتباعه.

أسباب اختيار الموضوع:

من الدوافع التي جعلتنا نقوم بدراسة هذا الموضوع بالذات ميولنا إلى معرفة أحوال أصحاب المذهب الاباضي تاريخيا ومحاولة منا لفهم نظام المجتمع الإباضي بعد سقوط عاصمة الدولة الرستمية تيهرت على يد الفاطميين وأثر ذلك على الجماعات الإباضية. وكذا للتعرف على أبرز التحولات التي عرفها الإباضيون في المغرب الأوسط بعد سقوط الدولة الرستمية.

إشكالية الموضوع: ومن خلال عنوان البحث الرئيسي طرحت إشكالية عامة للموضوع تمثلت في "ما هي انعكاسات سقوط الدولة الرستمية على مدينة تيهرت وبالأخص على جماعات الإباضية؟. وقد إندرجت ضمن هذه الإشكالية الرئيسية تساؤلات فرعية قسمت من خلالها عناصر الموضوع ومن أبرزها:

- كيف كانت الأوضاع العامة للإباضيين قبل سقوط عاصمتهم تيهرت ؟.

- ما هي أبرز الأسباب التي أدت إلى زوال لدولة الرستمية؟.

- ما مصير المذهب الإباضي بعد سقوط مدينة تيهرت؟.

- وما أثر سقوط مدينة تيهرت على وحدة المذهب الإباضي واتحاد الجماعات الإباضية ؟ .

- ما هي ابرز المناطق التي فر إليها الإباضيون بعد سقوط الدولة الرستمية؟.

المناهج المعتمدة في موضوع الدراسة:

أما بالنسبة للمنهج فقد اعتمدنا على المنهج التاريخي في المبحث الأول بحيث تطرقنا إلى المراحل التاريخية اعتمادا على مصادر تناولت المراحل التاريخية، كما اعتمدنا على المنهج الإحصائي في المبحث الثاني حينما عدنا إلى فترة حكم الأئمة الرستميين، أيضا على المنهج الوصفي القائم على وصف واستخراج المعلومات وإعادة صياغتها في المبحث الثالث وذالك حين تناولنا ذكر المناطق التي إلتجئ إليها الإباضيين وكذا تحول الإباضيين إلى مجتمع دولة مصغر تحت ما يسمى نظام العزابة.

الخطة العملية للموضوع:

وتماشيا مع ما توفر لدينا من مادة علمية وحرصا منا على إتباع المادة العلمية المعتمدة في البحث إرتأينا تقسيم الموضوع إلى ثلاث مباحث ومقدمة وخاتمة وبعض الملاحق والجداول مع ترتيبها ترتيبا موضوعيا فقد بدأنا الدراسة بمقدمة عرفنا بها الموضوع.

ثم أردنا أن نمهد للموضوع لنصل إلى فهم الموضوع وكان عنوان مبحثنا الأول، مدينة تيهرت من نشأة إلى سقوط حيث قسمنا هذا المبحث إلى مطلبين قمنا في المطلب الأول بدراسة تاريخ مدينة تيهرت قبل 296هـ أي قبل سقوط العاصمة تيهرت حيث تطرقنا فيه إلى الأوضاع السياسية من نضام الحكم (تنضيم الإداري، القضاء) ثم تحدثنا عن الحياة الإجتماعية بصفة عامة خصوصا مع تدهور الأوضاع قبل السقوط الدولة الرستمية وأعطينا بعض الأمثلة عن الحياة الإقتصادية وكذا الحياة الثقافية والفكرية بتيهرت وأبرزنا دور العلماء والأئمة في إنشاء مؤسسات تعليمية وفي المطلب الثاني تطرقنا إلى أسباب سقوط تيهرت حيث ذكرنا أسباب ونتائج السقوط.

أما في المبحث الثاني فتطرقنا إلى أوضاع الإباضيين بعد سقوط عام 296هـ حيث تطرقنا في المطلب الأول إلى إنهيار النضام السياسي الإباضي بتيهرت، وفيه حاولنا دراسة وضع الإباضيين بعدما إنهيار نضام حكمهم حيث عدنا إلى فترة حكم اليقضان بن أفلح و ما صاحبها من أحداث سياسية كما ذكرنا الضغوطات التي مارسها العبيديون على الجماعات الإباضية، حيث رصدنا تلك لأحداث ومدى تأثيرها عن الجماعات الإباضية،اما عن المطلب ثاني فجاء بعنوان "تغير المذهب الإباضي في المدينة" وفيه ذكرنا البدايات الأولى للمذهب الإباضي في بلاد المغرب وكذا معاملة الفاطميين للإباضيين وعن الخلافات المذهبية، وتطرقنا إلى إستراتيجية الفاطميين للقضاء على المذهب الإباضي ثم يأتي المطلب الثالث والذي جاء بعنوان طرد الإباضيين من المدينة". وكمطلب أخير في هذا المبحث حاولنا أن نصف مدى الاضطهاد الذي تلقاه الإباضيين من طرف الفاطميين وكذا الأحداث التي صاحبت تنازع الطرفين والظروف التي دفعت بالإباضيين إلى الإرتحال من المدينة.

بينما كان عنوان المبحث الثالث والذي قسمناه إلى مطلبين ب "إنهيار حكم الإباضي حيث تيهرت وتداعياته على المذهب الإباضي وفرقه فيم بعد» و حيث كان عنوان المبحث الأول: "تشتت الجماعات الإباضية وإنعزالها" وفيه ذكرنا أهم المناطق التي فر إليها الإباضيون من بطش الفاطميين ثم يأتي المطلب الثاني والذي جاء بعنوان "تحول الإباضية إلى مجتمع دولة مصغر وذكرنا فيه مجلس عزابة كنموذج" وتطرقنا إلى نظام سير الحلقة، وكذا شروط الالتحاق بالحلقة كيف أصبح الإباضيون مجتمع مصغر

تحت نظام عزابة، وأبرزنا الأسباب التي دفعت بالإباضيين إلى إنشاء هذا النظام ودور أبو عبد الله بن أبي بكر في تأسيس هذا النظام، وانعكاسات هذا النظام على المجتمع الإباضي.

ثم ختمنا الموضوع باستنتاجات عامة عن كل عنصر ومطلب من هذا الموضوع.

أهم المصادر والمراجع المعتمدة في موضوع الدراسة:

إعتمدنا في إنجازنا مذكرتنا على مجموعة من المصادر والمراجع المتنوعة إباضية وغير إباضية ومن أبرز المصادر التي اعتمدنا عليها وتناولت التاريخ الاباضي والإباضية نذكر:

كتاب "سير الأئمة وأخبارهم" لأبي زكرياء يحي بن أبي بكر،حيث يعتبر هذا الكتاب من أهم المصادر الخاصة لدراسة تاريخ الإباضي بالمغرب لاحتوائه معلومات قيمة عن تاريخ الرستميين وسقوطهم، أفادنا كثيرا في المبحثين الأول وذالك لإحتوائه معلومات هامة في سياق الموضوع.

أيضا مؤلف "طبقات المشائخ بالمغرب" لأبي عباس أحمد الدرجيني:(670هـ /1271م)،حيث يعتبر الدرجيني من أبرز المؤرخين الإباضيين ينقسم كتابه إلى جزأين حيث زودنا بالعديد من المعلومات خصوصا عن فترة ما بعد سقوط تيهرت عاصمة الدولة الرستمية بحيث إستفدنا كثيراً من جزءه الأول والذي اعتمدنا عليه في جميع مباحثنا تقريبا.

أما عن المصادر الغير مختصة في التاريخ الاباضي والتي استفدنا منها في محطات التاريخية نجد:

مؤلف "أخبار الأئمة الرستميين" لإبن صغير، والذي يعد من أهم المصادر التي تحدثت عن الدولة الرستمية إلا أن هذا المصدر لم يتطرق إلى حقبة ما بعد سقوط الدولة الرستمية.

أيضا "الملل والنحل" للشهرستاني، يعد من أهم المصادر التي عالجت نشأة الفرق والمذاهب الإسلامية. إضافة لكتاب "العبر" لابن خلدون، والذي يعتبر مصدرا هاما لكل باحث في التاريخ الإسلامي رغم قلة حديثه عن الجماعات الإباضية... الخ.

أما فيما يخص المراجع فنذكر:

مؤلف "الإباضية في موكب التاريخ" لعلي يحي عمر، اذ يعتبر من المراجع التي اعتمدنا عليها كثيراً في هذا البحث والتي أفادتنا كثيرا نضرا لتفصيله في الدولة الرستمية والأحداث التي والتها وينقسم هذا الكتاب إلى ثلاث حلقات، الحلقة الأولى: الإباضية في ليبيا والثانية الإباضية في الجزائر وحلقة ثالثة تحدث فيها عن الإباضية في تونس.

أيضا مؤلف " تاريخ المغرب الكبير" لمحمد علي الدبوز، تناول في جزئه الثالث والأخير الأوضاع العامة للدولة الرستمية، حيث استفدنا كثيرا منه. وبالخصوص تحديد الأماكن التي فر إليها الإباضيون.

كذلك مؤلف" الدولة الرستمية" لإبراهيم بحاز، يعد من أهم المراجع التي تناولت الدولة الرستمية حيث أفادنا كثيراً في هذا البحث.

مؤلف "الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس (160هـ-297)" لعيسى حريري، أفادنا كثيرا نظرا لتفصيله في تاريخ الدولة الرستمية بشكل واسع. بحيث استفدنا منه كثيراً في دراسة الحياة السياسية والفكرية والاجتماعية بتيهرت...

صعوبات الدراسة:

أما عن الصعوبات التي إعترضتنا أثناء إنجازنا لهذه المذكرة فتكمن في تضارب وتباين بعض الحقائق التاريخية بين المصادر بالإضافة إلى تركيز هذه المصادر عن حقبة ما قبل سقوط الدولة الرستمية حيث لم تفصل كثيرا عن فترة ما بعد سقوط وهو ما صعب علينا الأمر بعض الشيء وجعلنا نبذل مجهودا كبيرا في الحصول على المادة المساعدة لإعداد هذا البحث.

المبحث الأول: تاريخ مدينة تيهرت من النشأة للسقوط 296هـ.

المطلب الأول: تاريخ مدينة تيهرت قبل 296هـ.

المطلب الثاني: مدينة تيهرت وتداعيات سقوطها.

المبحث الأول : تاريخ مدينة تيهرت من النشأة إلى تاريخ السقوط 296هـ.

المطلب الأول: تاريخ مدينة تيهرت قبل 296هـ.

أ/- الأوضاع السياسية:

كان نظام الدولة الرستمية قويا، حيث كانت الدولة مستقلة وغير خاضعة لأي طرف. وكانت تقوم على مبدأ الإمامة[1] ومبدأ الشورى (أي الانتخاب). فالإمام يرجع في أي معضلة لمجلس الشورى الذي يتكون من علماء مخلصين.[2] وقد اتسم نظام الحكم بالبساطة الشديدة. وكان يلقب حاكم الدولة بالإمام ومصدر جميع السلطات الدينية والسياسية ومن خلال حوار البيعة.[3] عين عبد الرحمان ابن رستم كأول إمام الدولة، وهذا بعد إنتخاب شيوخ الإباضية عليه وهذا وفق القواعد التي قننت في المذهب الإباضي. فيروي الشماخي أن رؤساء الإباضية عينوا عبد الرحمان لفضله و كونه من حملة العلم ولكونه عامل ابن الخطاب على إفريقية وما ولاها .[4]

وعمل مجلس الشيوخ على وضع عدة شروط لكي يعينوا الإمام حيث يختارون الإمام الأصح ويراقبون سلوكه وطريقة تسييره و إذ حاد عن طريق يقومون بعزله دون تردد.[5] ومن شروطهم إشتراط الوراع والتقوى والذكاء والعلم في أعضاء مجلس الشورى وهي أول ما يشترط لأن دولة دين وعلم وأيضا يجب أن يكون يوازي العدالة التي تعني الكمال الأخلاقي. وإشترط التواضع فيه وكانوا أيضا يراقبون رئيس الدولة ويمتحنوه.[6]

1- الإمامة: وضعو الإباضيين شروطا لتولي الإمامة وأن تكون بإختيار حر من المسلمين ويصح أن تكون من قريش أو غيرهم ولو كان حبشيا، وأن يخضع لأمر الله والعدل والعلم وإلا يتم عزله، ولا تجوز الإمامة للمرأة. إبن الحزم الاندلسي، رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق، إحسان عباس، المؤسسة العربية للنشر، الأردن، ج4، ص259.

2- محمد علي الدبوز، تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تاولت الثقافية،المغرب، 2010 ، ج3، ص 289.

3- إبن الصغير، أخبار الأئمة الرستمية وسيرهم، تح و تق: محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص 30 -31 .

4- محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس، ط3، دار القلم للنشر والتوزيع، القاهرة، 1987، ص 223.

5- رشيد بوروبية، الجزائر في تاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ج3، ص 105.

6- محمد علي الدبوز، المرجع السابق، ص 290.

لكن الأئمة الرستمية لم يلتزموا بمبدأ الشورى وتسللت فكرة التعيين أو الوصية حتى أن أصبحت فكرة التوريث المطلق وتغلبت على مبدأ الإنتخاب العام. ويبقى العدل والإحسان وما ألتزم به الأئمة الرستمية من مبادئ الإباضية المسمحة ما تميز به الرستميين.[1]

فعبد الرحمان ابن رستم مثلا قبل رحيله إختار سبعة من رجال دولته المخلصين ومنهم ولدهم وأوصاهم بإختيار إمام بينهم، وهذا لم يكن لترجيح أحد من هؤلاء. وإنما لإختيار ولده عبد الوهاب. فكانت أشبه بوصية لإبنه عبد الوهاب وتلقى هذا النظام الجديد دعم من قبائل وجماعات الفرس.[2]

وأيضا عبد الوهاب أوصى بالإمامة لأفلح حيث يذكر إبن الصغير أن في الحرب مع بني سلامة لما رأى قتال إبنه قال: "لقد إستحق أفلح الإمامة" فكان أول يوم عقدت له الإمامة ومن هنا توالت التعيينات وسقط مبدأ الإنتخاب وتغيرت الحياة السياسية في تيهرت.[3] حيث في عهد عبد الوهاب رفض نهائيا فكرة إقامة مجلس الشورى ومراقبة تصرفاته.[4] وغلب على عهده الإنفراد بالسلطة دون تدخل شيوخ الإباضية. ولكن ولده إبن الأفلح فرض عليه مجلس شيوخ المذهب الإباضي جماعة الشوراة التي قامت بعمل مجلس الشورى.[5]

والدولة الرستمية تميزت بفترة أئمة أقوياء تمتعت فيها الدولة في عهدهم بالإستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وكانوا شديدي الإلتزام بحياة الزهد والتقشف وعدم الميل إلى الأبهة والعظمة وفترة تميزت بضعف الأئمة و تفشي نفوذ العصبيات القبلية والطوائف المذهبية.[6]

1- إبراهيم بكبير بحاز، الدولة الرستمية 160-296 هـ /777-909م، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ط2، نشر جمعية التراث، الجزائر ، 1993، ص 117.

2- محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 223.

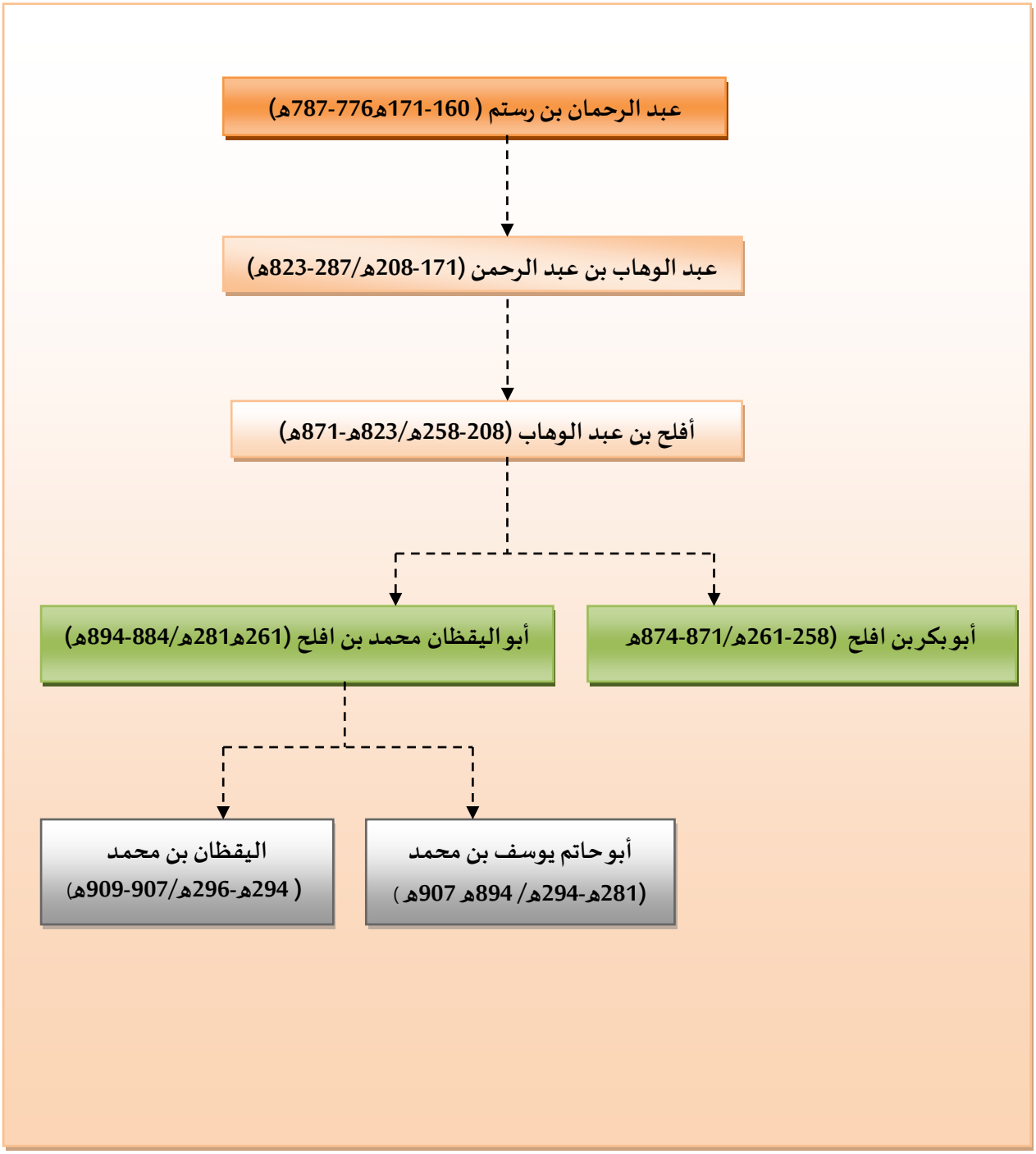
3- تيهرت: مدينة مشهورة من مدن المغرب الأوسط و هي إسم لمدينتين سابقتين متقابلتين تيهرت القديمة والحديثة وبينهما خمسة أميال والحديثة لها أربعة أبواب باب الصافا والمنازل والمطاحن وباب الأندلس، وصفوها الجغرافيون القدم بعراق المغرب وبلخ المغرب و كان إحداث تيهرت بعد 140هـ أسها عبد الرحمان ابن رستم والإباضيون الغالبون عليها. إبن حوقل أبو القاسم النصيبي 368هـ979م، صورة الأرض، مكتبة دار الحياة، بيروت 1992،ص93.

4- إبن الصغير ، المصدر السابق، ص 22.

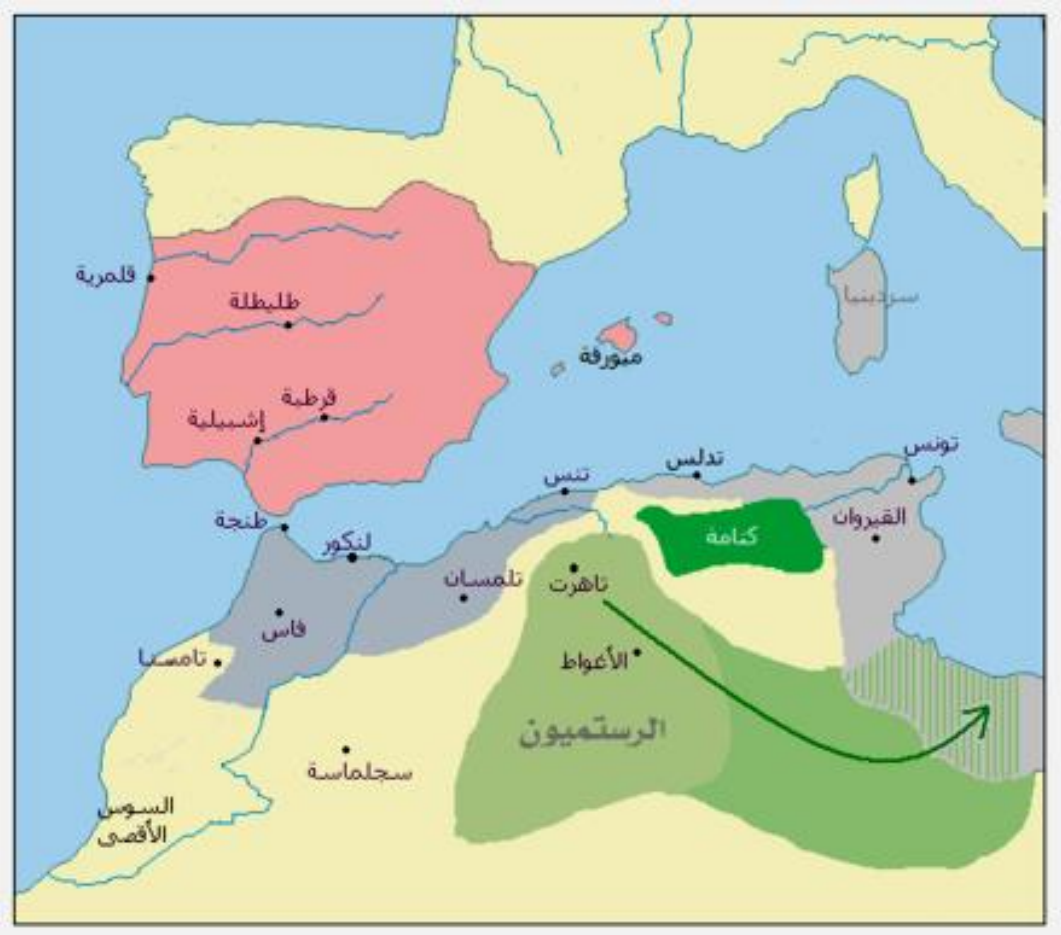
5- محمد علي الدبوز، المرجع السابق، ص 291.

6- محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 227-228.

مخطط يمثل الرستميين الذين تولوا حكم الدولة الرستمية. (من عمل الطالبين).



أما عن التنظيم الإداري إتخذو مستشارين كالوزراء والولاة والقضاة والمحتسبون ورجال الشرطة، المحتسبون يقمعون الغش والمحافظة على النظافة أما رجال الشرطة يطفون بدروب المدينة لحفظ الأمن وتغيير المنكر .[1] أما عن القضاء فلقد تمتع القضاة بنزاهة التامة. ولم يتم التدخل في شؤونهم وكانوا مستقلين وقصة أبو عباس أخو أفلح على حسب المثال الذي تنازع مع صهره على قطعة أرض فأراد أبي عباس التوغل والتحيل فغضب القاضي و وبخ أبي العباس وإستدنى الخصم وسقاه ماء إظهار المساواة.[2]



خريطة سياسية تمثل الدولة الرستمية خلال القرن التاسع للميلاد. عن الموقع

www.islamstory.com/ar/artical

1- مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د. ت) ج2، ص 69.

2- محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 292.

ب/- الأوضاع الإجتماعية:

بعد قيام الدولة الرستمية وجب عليهم إنشاء مدن وتحصيل حياة إجتماعية تتطابق مع طموحهم، وتشير المصادر أن الحياة الإجتماعية في بداية الدولة الرستمية كانت مستقرة ومزدهرة، وكانت الأسرة الحاكمة تعتمد على الجند والتحالفات وروابط الولاء والمصاهرة. وأهم صورة لذلك زواج عبد الرحمان ابن رستم بإبنة شيخ القبيلة إبن يفرن وزواج عبد الوهاب إبنة أحد رؤساء القبائل خوفا من مصاهرة بنو أوس للواتة و إنقلابهم عليه.[1]

تحولت مدينة تيهرت من إقليم غابات للوحوش و الزواحف إلى مدينة عامرة بالسكان.[2] وقد كانت التركيبة السكانية متنوعةو قد مثل البربر الطبقة الكبرى من مجتمع تيهرت وهم نوعان مستقرين داخل تيهرت ورحالة يقيمون خارج المدينة. وكان العرب فئة مهمة من المجتمع التيهرتي وأشار إليها إبن الصغير عندما تجلى ذلك في حديثه عن الفتنة التي حدثت في عهد الإمام أفلح لكنه لا يوضح من أين جاء العرب بل ذكر الكوفيين والبصريين أنهم أقامو أحياءا وأسواق.[3]

وقد رحبت الدولة الرستمية بكل الأجناس والطوائف.[4] وهذا ما يلخصه إبن الصغير في قوله "ليس أحد ينزل بهم من الغرباء إلا أستوطن معهم وإبتنى بين أظهرهم".[5]

ونتيجة التطور الإقتصادي التي عرفته تيهرت ظهرت مجموعة من طبقات كحتمية فظهرت طبقة من الأثرياء أحاطت البساتين بالقصور. وقد شاعت ظاهرة بناء القصور وتنافسوا فيها. وكان العجم أكثر ثراء وكان من الطبيعي أن يتخذ الأثرياء طبقة كبيرة من العبيد والخدم جاء بها التجار من بلاد السودان. سواء عن طريق سلجماسة أو رجلان وإشتغلت هذه الطبقة بالزراعة خاصة والإعتناء بالبساتين أو خدمة داخل القصور.[6]

1- أبي زكرياء بن ابي بكر (471هـ/1079م)، سير الأئمة وأخبارهم، تح: إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1979، ص 236.

2- محمود إسماعيل عبد الرازق، الخوارج في بلاد من منتصف القرن الرابع هجري، ط2، دار الثقافة للنشر والتوزيع، دار البيضاء، المغرب، 1985، ص 24.

3- إبن الصغير، المصدر السابق، ص 236.

4- محمد علي الدبوز، المرجع السابق، ص 391.

5- إبن الصغير ، المصدر السابق، ص 57.

6- المصدر نفسه، ص 57. 58.

وأيضا عرفت مدينة تيهرت تواجد فئة التي تعرضت للظلم من طرف ملوكهم وجاءوا للدولة الرستمية لعدلها ككبار التجار والصناع والمهارين والعلماء النابغين الذين كان لهم دور في طريق الحضارة.[1] وأيضا توجد الطبقة العامة لتي كانت مع العبيد وهي الطبقة التي لم ترتبط بالسلطة الحاكمة وليس لها مورد مالي مستقر.[2] المزارعين والتجار الصغار. وتعتبر السياسة الإسلامية الراشدة التي جرى عليها الإمام عبد الرحمان حيث قبل مساعدات من البصرة و وزعها بعدل وانتعشت بها هذه الفئة وقل الفقر في الدولة الرستمية لأنها دولة عمل وجد وأفرادها لا يتكاسلون.[3]

أما عن المرأة فكانت الدولة الرستمية تعتني كل الإعتناء بتثقيف المرأة و بتعليمها كل ما يجعلها صالحة وقد برع في العلم نساء عالمات و من العالمات النابغات في تيهرت نجد أخت الإمام الأفلح.[4] وشاركت المرأة أيضا في الإنتاج فعملت أعمال اليدوية كالغزل و النسيج.[5]

فذكر الدرجيني أن إمرأة نفوسية وجدت في الحرث مع زوجها مهدي النفوسي.[6] هي تنقل التراب على رأسها لإصلاح الجسور.[7]

لكن في الأواخر الدولة الرستمية تدنت الأوضاع الإجتماعية وهذا بسبب فتح الأبواب لكل الناس.[8] وإرسال العباسيين لجواسيسهم ونشرهم للفتنة وظهور الطبقية بسبب التذمر الإجتماعي والإقتصادي ونتج عنها عدم توفر الأمن و ظهور قطاع الطرق.[9]

1- محمد علي الدبوز، المرجع السابق، ص 391

2- جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10م) ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص 32-41.

3- أبي زكرياء، المصدر السابق، ص 45.

4- محمد علي الدبوز، المرجع السابق، ص 337.

5- جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 318.

6- مهدي النفوسي الويفي: إشتهر بالعلم والشجاعة، من بين الأربعة الذين ذهبوا لتيهرت من نفوسة من ذرف الإمام عبد الوهاب طلبا للعلم. الدرجيني ابو العباس أحمد ، طبقات المشايخ، مطبعة الجزائر، 1984، ج2، ص 57-56.

7- محمد علي الدبوز، المرجع السابق، ص 337.

8- المرجع نفسه، ص 410.

9- جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 456-457.

وقد أدت الخلافات داخل البيت الرستمي إلى تدهور الحالة الاجتماعية، حيث قاموا بتدبير مؤامرات وإغتيالات مثلما حدث مع الإمام أبي حاتم من طرف بنو أخيه.[1]

وكان للاختلاط محاسن، كما كان له مساوئ فقد تفشت فيه الرذائل فيه وهذا ما عبر عنه الشماخي "فسدت بها البلد وفسد أهلها وأظهروا المنكر وكثر الفسق والزنى والشرب الخمر".[2] لهذه الأسباب تدنت الأوضاع الإجتماعية في أواخر الدولة.

الأوضاع الإقتصادية:

شهدت مدينة تيهرت ومناطق كثيرة من المغرب الأدنى في عهد الدولة الرستمية إزدهارا تجاريا كبيرا ونمو عظيما في حركة الإقتصاد.[3] حيث عرفت هذه المنطقة عدم إستقرار إقتصادي بسبب الإظطربات التي سادت بلاد المغرب وخاصة تلك التي حدثت في عصر الولاة.[4] حيث أن تلك الإظطربات كان لها أثر سيء على الحياة الإقتصادية في البلاد من تخريب للمزارع وإحراق الأشجار وإزهاق للأرواح.[5]

وبعد قيام الدولة الرستمية إستقرت الأوضاع السياسية وسارت الحياة الإقتصادية نحو التحسن والإزدهار وعاد الأمان إلى السكان، فقد إمتلكوا أراضي زراعية وفرتها الوديان والمجاري المائية.[6] خاصة في فترة الأئمة الثلاث عبد الرحمان وعبد الوهاب وأفلح على التوالي.[7] ولأن العامل الجغرافي كان أساسا في إختيار الموقع الملائم لبناء المدينة، فإن تيهرت تقع بين نهرين نهر مينة ونهر ناتش وهذا النهرين يصبان في عدة أودية من البلد.

1- إبن العذارى المراكشي (ت. ق7هـ-13م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح. كولان ،ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت ج1،ج2 . د.ت

2- محمد علي الدبوز، مرجع سابق 337.

3- محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 230-231.

4- إبراهيم بكبير بحاز، المرجع السابق، ص 143.

5- المرجع نفسه.

6- محمود إسماعيل عبد الرازق، المرجع السابق، 273.

7- أبي زكرياء، المصدر السابق، ص 81-86-127.

وأيضا وفرة المياه والأمطار الغزيرة التي كانت لها دور في تكوين السهول الخصبة في المغرب الأوسط، وقد اعتنى الرستميون بوفرة المياه بشق القنوات التي توصلهم إلى بساتينهم و مزارعهم، ومن أهم المزروعات التي جاءت في المنطقة القصبر والكتان والسمسم.[1]

وقد إشتهرت تيهرت بإقليمها الزراعي حتى أذلق علي عراق المغرب، وأشار إليها المؤرخين والجغرافيين كإبن حوقل والمقديسي ووصفوها بلخ المغرب. وبالنسبة للسهول الساحلية فذكر إبن حوقل "متصلة الرساتيق والمزارع والضياع والمياه".[2] خاصة في جبل نفوسة حيث كانوا يزرعون الزيتون والكروم والنخيل.. إلخ وغيرها من الصناعات الزراعية.[3] ونشطت الزراعة أيضا في الصحراء وقد إهتموا أيضا بالرعي وتربية الماشية التي دعمت إقتصاد الدولة بثروة حيوانية وفيرة.[4]

قال إبن الحوقل "أحد معادن الدواب والماشية والغنم والبغال والبراذين والفراهية. ويكثر عندهم العسل السمن وضروب الغلات".[5]

كما إزدهرت الصناعة هي الأخرى داخل فئات المجتمع الرستمي لتلبي حاجات أفراده، ايضا تعلقت بمنتجات الزراعة والرعي.[6]

حيث إشتهرت بصناعة المنتوجات لتوفر خامات الصوف والكتان والمزارع.[7] وقد تعددت بها المناجم فتوفر فيها معدن الحديد والزئبق، وإستخدموا هذه المعادن في حركة البناء والتعمير. وعرفوا الرستميون بصناعة الطواجن، وإحتوت تيهرت على بعض من مصانع الأواني الفخارية والخزف.[8]

1- محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 231.

2- إبن حوقل، المصدر السابق، ص 185.

3- محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 232.

4- إبراهيم بكبير بحاز، المرجع السابق، ص 144-163.

5- إبن الحوقل، المصدر السابق ص 185.

6- محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 232.

7- إبراهيم بكبير بحاز، المرجع السابق ص 167.

8- محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 233.

أما مجال التجارة فتفوق الرستميون فيها، ولم تعقهم الخلافات السياسية، بل أعطت لهم دفعة قوية في ممارسة انشطتها.[1] وقدم الموقع الجغرافي لتيهرت دورا هاما في ذلك لوقوع الاخيرة على طريقين من أشهر الطرق التجارية بين طريق شمال- جنوب ثم العودة جنوب- شمال.[2]

يروي إبن الصغير"أن في عهد الرستميين أستعملت السبل إلى بلاد السودان وإلى جميع البلدان من شرق والغرب بالتجارة و ضروب الأمتعة"،[3] من هنا يهيأ لنا أنها كانت مركز للتبادل التجاري الخارجي والداخلي. وأبرز علاقاتهم التجارية بينهم وبين الأمويين في الأندلس وبين بلاد السودان حيث قاموا بدور الوسيط التجاري بين الطرفين.[4] ومن أهم البضائع التي يصدرونها الحبوب والحنطة واللحوم والعبيد... إلخ. وقد حرص الأمويين على صداقة الرستميين ومنحوا لهم عدة تسهيلات لضمان الإمدادات السلع والرعايا، وكانت التسهيلات متبادلة بين طرفين. أما السلع التي نقلها الرستميون إلى بلاد السودان هي الذهب والعبيد والعاج وريش النعام مقابل ما يبيعونه هناك من منتجاتهم كالمنسوجات الصوفية والكتانية والحريرية.[5]

ومن أهم الأمثلة على نشاط التجارة في تيهرت إمتلاك شخص بمفرده لسوق بأكمله كسوق إبن وردة.[6] وحقق الرستميون أرباحا طائلة من الإشتغال بالتجارة، وتوجد عدة روايات من الأثرياء في العهد الرستمي من بينهم عبد الوهاب نفسه حيث عمل بالتجارة قبل توليه الإمامة.[7]

فقال الشامخي عنه "كان كثير المال مما إتسعت عليه الدنيا وسببه أنه كان في وقت أبيه تاجرا وكان حاذقا بالتجارة".[8] وجعلت هذه الحركة التجارية النشطة من تيهرت عاصمة متألقة بين حواضر المغرب الكبرى وسميت بالعراق الصغير. وقد كانت تيهرت قبلة بموجة من الهجرات، وبذلك إنتعشت الحركة التجارية، وهذا ما أكده إبن الصغير "فقل أحدا ينزل بها (تيهرت) من الغرباء إلا معهم وبنى بين

1- محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 233.

2- إبراهيم بكبير بحاز، المرجع السابق، ص 194.

3- إبن الصغير، المصدر السابق، ص 62.

4- محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 233.

5- مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص 75.

6- إبن الصغير، المصدر السابق، ص 62-63.

7- محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 234.

8- الشماخي احمد بن سعيد، كتاب السير، وزارة التراث والثقافة، عمان، 1992. ج1، ص 139.

أظهرهم لما يراه من رخاء البلد..." إلخ.[1] وقد ذكرت بعض المصادر أنه كان للرستمين سكتهم.[2] وأنهم كانت لديهم عملة لم يعثروا على نماذج منها حتى الآن، وغير العملة إستعملوا أيضا المكاييل والموازين.[3]

الحياة الفكرية:

كانت الحياة الفكرية مرتبطة بالمذهب الإباضي، فالرستميون اهتموا بنقل الكتب التي تظهر بالمشرق منبع الحركة الفكرية الإسلامية و خاصة العلوم الدينية.[4] فاذا كان سلمة إبن سعيد الداعي الأول للإباضية قد إختار أربعة من معتنقي الإباضية، وأطلق عليهم حملة العلم حيث ذهبوا للبصرة للتعلم ثم عادوا للمغرب لنشر ثقافتهم الإباضية.[5] وعبر حلقات لتعليم علوم الأصول والفروع والسير والتوحيد والشريعة واللغة والفلك والرياضيات.[6] من ذلك بدأت الإباضية تصطبغ بالحياة الفكرية وخلقت تنافس بين المذاهب كالسنة المالكية والشيعة والمعتزلة، وقام بينهما جدال ومناظرات من ذلك مناظرة الإباضية والمعتزلة التي إمتدت فترة طويلة.[7] فالباروني روى أن معظمها كانت خارج تيهرت على نهر ميتة، ومن أشهر علماء الإباضية الذين تفوقوا على المعتزلة مهدي نفوسي ومحمود إبن بكر.[8]

وأدى هذا النشاط لجوء الرستميون لتوثيق علاقاتهم بمختلف البيئات العلمية وفي كل المناطق. فكان الأئمة الرستميون في طليعة الباحثين.[9] وأرسل عبد الوهاب لإباضية البصرة ألف دينار ليشتروا بها كتبا فلما بلغوها اشتروا ورقا واستنسخوها كتبا. وكانت لتيهرت مكتبة تسمى المعصومة حوت ألاف المجلدات، ولما دخلوا الشيعة أحرقوها ماعدا كتب الرياضة والصنائع والفنون الدنيوية.[10]

1- إبن الصغير ، المصدر السابق، ص 62.

2- إبراهيم بكبير بحاز، المرجع السابق، ص 183.

3- محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 235.

4- مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص 77.

5- محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 235.

6- محمد علي الدبوز، المرجع السابق، ص 331.

7- إبن الصغير ، المصدر السابق، ص 551.

8- محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 236.

9- المرجع نفسه، ص 237.

10- مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص 77.

وكان الأئمة الرستمية في طليعة العلماء و كان العلم شرطا لتولي الإمامة فبعضهم كانوا يقومون بمهنة التدريس وإشتركو في حركة التأليف أيضا فعبد الرحمان إبن رستم كان له ديوان الخطب ورسائل متعددة. كما نبغ العلماء الغير الإباضيين في تيهرت كإبن الصغير المالكي وزكرياء إبن بكر.. إلخ من العلماء وقد سمح الرستميون للعلماء الغير الرستميين بمزاولة العلم كاليهودي يهوذا إبن قريش.[1] وعن كعاك عن المجلة الأسيوية الصادرة 1843 أنه كان يحسن اللغة العربية والعبرية والبربرية والفارسية عالما بها جميع متضلعا فيها.[2] وشاركت المرأة في الحياة الفكرية كأخت الإمام أفلح عبد الوهاب عالمة بالحساب والفلك والتنجيم. ومن المراكز العلمية يوجد أيضا من غير تيهرت.[3]

وما من شك أن للحكام الرستميين دور بارز في الحياة الفكرية، لان من شروط تولي الإمامة عند الإباضية العلم والورع،[4] فإهتم الحكام الرستميون بتشييد المدارس والمساجد وجلب الكتب من المشرق، ولعلّ مكتبة المعصومة التي تحتوي ألاف المجلدات في شتى العلوم خَير دليل على ذلك.[5]

ومن مظاهر إهتمام الحكام الرستميين بالعلم والعمل على نشره في كل طبقات المجتمع، توليهم التدريس بأنفسهم في جامع تيهرت فلقد كان الإمام أفلح مثالا في تدريس علم الكلام.[6]

كما لا ننسى نشاط حركة التأليف خلال العهد الرستمي وتصدر الأئمة الرستميين لهذا النشاط اذ كان لعبد الرحمان إبن رستم مؤلفين اثنين احدهم في التفسير تنافس الإباضية الوهبية والنكارية على إقتنائه وكان يباع في قلعة بني حماد، أما الثاني فجمعت فيه خطبة التي كان يلقيها في المسجد.[7]

1- محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 237

2- مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص 79

3- المرجع نفسه، ص 238

4- زهير تغلات، الفكر السياسي الإباضي من خلال مؤلفات جابر إبن زيد وسالم بن ذكوان الهلالي والبرادي والشماخي، الدار التونسية للكتاب، تونس، 2014، ط1 ، ص 124.

5- محمد علي الدبوز، المرجع السابق، ص 617.

6- فطيمة مطهري، مدينة تيهرت الرستمية دراسة تاريخية حضارية القرن 2و3هـ، رسالة ماجستير في تاريخ الغرب الإسلامي، جامعة تلمسان، 2009-2010، ص 229 .

7- الدرجيني ابو العباس أحمد بن سعيد، المصدر السبق، ج2، ص 296.

المؤسسات التعليمية خلال الدولة الرستمية:

أ/- الكتاتيب: تعد من أقدم المراكز التعليمية في تاريخ الإسلامي، ففيها يتم تعليم القرآن الكريمو الكتابة للصبيان.[1] وفي الدولة الرستمية المعلومات الخاصة بهذه المدرسة تكاد منعدمة، لكن أبي زكرياء أشار لذلك عندما تحدث عن أحد الإباضية الذين إنشقوا عن المذهب ويعرف بإسم الشكاس وقال بأن أباه أدخله في الكتاب فقرأ وحفظ، وهذا يدل على إتخاذ الإباضية لهذه التسمية وبالتالي لهذا المكان.[2] والكتاتيب عبارة عن حجرات صغيرة مجاورة للمساجد تخصص لتعليم الصبيان الصغار بدلا من تدريسهم في المساجد المخصصة للصلاة حفاظا على طهارتها.[3]

وكان يعتمد على طريقة التلقين بحيث يكتب علي الالواح الخشبية القرآن الكريم بواسطة الدواء،[4] وأول من علم القرآن الكريم بجبل نفوسة هو عمر بن يمّكتن.[5] وقد تعلّمه و هو في طريق مغمداس يتلقى في العرب القادمين من المشرق في زمن قلت فيه نسخ القرآن الكريم.[6]

ب/- حلقات العلم في المسجد: إعتبرت الدولة الرستمية على غرار الدول الإسلامية المسجد أهم مؤسسة تعليمية، فعبد الرحمان بن رستم بدأ ببناء المسجد الجامع عندما شرع في بناء تيهرت.[7]

وكانت الدراسات تتم في مجالس داخل المسجد، يقصدها عامة الناس بالإضافة إلى طلاب العلم و لعل الحلاقات التي كانت تعقد في مساجد تيهرت متنوعة كتنوع المذاهب.

فتيهرت قصدها مختلف المذاهب بحيث بنوا فيها مساجدهم كمسجد الكوفيين أتباع الإمام أبي حنيفة ومسجد القرويين أتباع الإمام مالك ومسجد البصرين، فهذه الحلقات خرّجت العلماء الذين

1- ابن منظور، لسان العرب، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 1993، ط2، ج 12، ص 23.

2- إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص 86.

3- فطيمة مطهري، المرجع السابق، ص 229.

4- لا تزال طريقة كتابة على الألواح الخشبية بالتلقين مستعملة إلى يومنا هذا في بعض مدارس وادي ميزاب، وإقتصرت على كتابة القرآن الكريم، وقد أثبتت النتائج نجاعة هذه الطريقة.

5- عمر بن يمكتن: من علماء القرن 2هـ، كان عاملا لأبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافر، وتوفي معه سنة 144هـ. انظر: الشماخي، المصدر السابق، ج2، ص 286.

6- إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص 332.

7- المرجع نفسه، ص 330.

تنافسوا في العلم و عقدت بينهم المناظرات، حتى إصطبغت الحياة الثقافية بتيهرت بصبغة المناظرات الفقهية والكلامية.[1] وكانت هذه الحلقات مختصصة في فنون المعرفة ، كالحلق الثلاثة التي كان شيخها الآمام أفلح بن عبد الوهاب و كانت في علم الفقه و علم الكلامة و اللغة العربية.[2]

ت/- المكتبات: للمكتبات دور فعال في تغذية الحركة الفكرية ودفعها للأمام، فالاهتمام بالكتاب وإقتنائه من أهم سمات الدولة الرستمية، فقد إشتهر الأئمة الرستميون بإقتنائهم الكتب من المشرق، كما اشتهروا بالتأليف في مختلف فنون العلم، ومما يدل على اهتمام الإباضية بالكتاب قول أحد علماء القرن الخامس الهجري "من حمل كتابًا إلى بلد لم يكن فيه ، فكأنما حمل ألف حمل دقيق تصدق بها على أهل ذلك البلد".[3] ومن جهد الأئمة في إثراء المكتبات بعث الإمام عبد الوهاب بألف دينار إلى إخوانه في المشرق بالبصرة، فنسخوا له أربعين حملا من الكتب وبعثوا بها إليه.[4]

ومما زاد في إثراء المكتبة الإباضية ما قام به عمروس بن فتح النفوسي،[5] من نسخ مدونة أبي غانم بشر بن غانم الخرساني.[6] وهي تقع في إثني عشر جزءًا، والنسخة الباقية اليوم هي نسخة عمروس لأن نسخة تيهرت أحرقها الفاطميون.[7]

1- سليمان بن عبد الله الباروني باشا، الأزهار الرياضية في أئمة و الملوك الإباضية، تح: أحمد كروم وعمر بازين ومصطفى بن أدريسو ، دار البعث، قسنطينة، الجزائر ، 2002 ، ط3، ج 2، ص 385.

2- أبو الربيع سليمان بن عبد السلام الوسياني، سير الوسياني، تح: عمر بن لقمان حمو سليمان بوعصبانة، وزارة التراث، مسقط عمان، 2009، ط1، ج1، ص 328.

3- الدرجيني ابو العباس أحمد بن سعيد نقلا عن إبراهيم بحاز ، مرجع سابق، ص 345.

4- أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 65.

5- عمروس بن فتح: من أبناء جبل نفوسة، عاصر الإمام أبا اليقظان محمد بن أفلح، وتلقى علمه على مشايخ الجبل، أستشهد بواقعة مانو بين نفوسة وإبن الأغلب سنة 283هـ. انظر: الدرجيني، المصدر السابق، ص 136.

6- أبو غانم بشر بن غانم الخرساني، فقيه من خرسان، قدم البصرة لتلقي العلم على يد علماء الإباضية، فدرس على يد تلامذة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي، دون كتابه المشهور بالمدونة أواخر القرن الثاني الهجري. صالح بن أحمد البوسعيدي، رواية الحديث عند الإباضية، جامعة آل البيت، الأردن، 200، ط 1، ص 57 .

7- الدرجيني ابو العباس أحمد بن سعيد، المصدر السابق، ج 2، ص 138.

المطلب الثاني: مدينة تيهرت وتداعيات سقوطها:

-أولا: أسباب سقوط الدولة الرستمية: عاشت الدولة الرستمية في عهد عبد الرحمان بن رستم فترة من الإستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي، سرعان ما اضطربت الأوضاع بعد وفاة عبد الرحمان بن رستم بفتن سياسية وإنشقاقات مذهبية وصراعات عنصرية ما عجل بسقوط الدولة الرستمية.

1/- الأسباب الداخلية:

أ/ الثورات: لما كانت الإمامة تستند إلى الشورى فإن عبد الرحمان إبن رستم قبل وفاته سنة (771هـ/787هـ) إختار سبعة من أهل المشورة والرأي الذين تتوفر فيهم شروط الإمامة وفي ذالك إقتداء بعمر بن الخطاب رضي الله عنه وهؤلاء السبعة هم إبنه عبد الوهاب ومسعود الأندلسي وعمران بن مروان وابوا موفق السعدوس بن عطية وشكر إبن صالح الكتامي ومصعب بن سدمان ويزيد بن فندين [1] وأوصاهم قبل وفاته بالتشاور وإختيار إما مهم من بينهم.[2] وتمت مبايعة عبد الوهاب بعد إجتماع مجلس السبعة حيث أن عملية المبايعة شابها خلاف حول أحقية كل واحد في الإمامة وتطور هذا الخلاف فيما بعد إلى إنشقاق أدى لظهور بذور معارضة.

- الثورة الأولى ثورة النكار: إشتهرت بثورة النكار لأن الذين قاموا بها هم قوم أنكروا إمامة عبد الوهاب.[3] تزعمها يزيد بن فندين وهو أحد اللذين رشحهم عبد رحمان إبن رستم لإمامة تيار المعارضة ضد الإمام عبد الوهاب،[4] وطعن في إمامة عبد الوهاب، وسمي أنصاره النكارية لإنكارهم تلك الإمامة.[5]

وتكمن الدوافع الأساسية لثورة إبن فندين أنهم كانوا ضد النظام الوراثة في حكم فالمبدأ عندهم أن الإمامة شورى بين المسلمين يتولاها أصلح المسلمين لها.[6] وتشير المصادر الإباضيّة إلى سبب ثورة النكار أن عبد الوهاب لما ولى أمور المسلمين عمد إلى رجال لهم رغبة في الولاية فولاهم الأمور.[7]

1- محمود إسماعيل عبد الرازق، المرجع السابق، ص58.

2- ابي زكريا، المصدر السابق، ص 153.

3- محمد علي الدبوز، المرجع السابق، 419.

4- إبن صغير، المصدر السابق، ص 48.

5- ابي زكرياء، المصدر السابق، ص61.

6- أبي زكرياء، المصدر السابق، ص 63.

7- محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 119.

ويضيف المؤرخون أن أسباب ثورة إبن فندين إخفاقه في الوصول إلى الإمامة وعدم إسناد الإمام عبد الوهاب إليه بعد توليه منصب الدولة التي كان يزيد يتطلع إليها.[1]

ويبدوا أن إبن فندين إستغل خلاف قبائل مزاتة وسدراتة مع الإمام عبد الوهاب[2] وأنضم إليهم ونجح في إستمالة العديد من الأنصار، وضل عبد الوهاب يراقب خصومه بحذر شديد وفي تلك الأثناء حولوا إغتياله لكنه أحبط مؤامرتهم.[3] ثم إنتهز النكار فرصة غياب الإمام عن المدينة وحاولوا الدخول إليها لكن أفلح إبن عبد الوهاب صدهم عن ذالك بقوته وشجاعته، قتل في هذه المعركة إبن فندين وكثير من أصحابه النكار.[4]

وبذالك زال خطر النكار على الدولة الرستمية لكن الحزازات وضغائن بقيت في نفوس عشائر من قتلوا في تلك المعركة وفي نفوس اللذين نجوا فيها من القتل. إلا أن الملاحظ أن حركة النكار خلقت وضعا جديدا في الدولة الرستمية، فأعطت فرصة للجماعات الواصلية المعتزلية من أهل المغرب أن يناقشوا مسألة الإمامة في الدولة، وهذا ما جعل بقايا النكار ينضمون لهؤلاء الواصلية في حركتهم وأصبحت الحركة الواصلية المشكلة الثانية التي تهدد الدولة الرستمية بعد ثورة إبن فندين.

- الثورة الثانية الواصلية: تنسب إلى واصل إبن عطاء المتكلم واصل بن عطاء الغزال (131هـ/ 748هـ) وقد شكلت حزبا قويا في الدولة الرستمية[5] يقدر تعداده في الدولة بثلاثين ألف يعيشون في بيوت كبيوت الأعراب، وكانت هذه الجماعات تتمتع بقدر كبير من الحرية الفكرية في ضل الدولة الرستمية فاستطاعوا أن يدعوا لمذهبهم وأن يحتجوا له ويناظروا من يريدون حتى ولو كان إمام الدولة نفسه.[6]

ولما وجد الإمام عبد الوهاب جدية الواصلية في القتال بعث إلى جبل نفوسة يطلب منهم معونة فأرسلوا إليه جيشا لمساندته في حربه، علاوة على أربعة رجال اشتهروا بالعلم والشجاعة من بينهم مهدي

1- محمد علي الدبوز ، المرجع السابق، ص 419.

2- إبن صغير، المصدر السابق، ص 48.

3- ابي زكريا، المصدر السابق، ص61.

4- المصدر نفسه، ص63.

5- محمد علي الدبوز، المرجع السابق، ص 411.

6- محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 120.119.

الذي أثبت تفوقا واضحا في المناظرة على الواصلية،[1] وبعد ذالك اشتعل فتيل القتال بين قوات الإمام عبد الوهاب والواصلية. أسفر على هزيمة الواصلية.[2]

- الثورة الثالثة وتمرد قبيلة هوارة: تمثلت في مواجهة الإمام عبد الوهاب حركة تمرد أقل خطرا، قامت بها بطون قبيلة هوارة[3] الضاربة بعمق جنوبي تيهرت، وحسب رواية ابن صغير أن تمرد هوارة لم يحدث نتيجة خلاف فقهي أو قضية عامة وإنما وقع كرد فعل لتنافس بين الإمام عبد الوهاب وبين زعيم الأوس، حول زواج من إحدى بنات قبيلة لواتة.[4] وانتهى الخصام بينهما بمعركة طاحنة ودموية.[5]

وكانت آخر الثورات التي واجهت حكم عبد الوهاب حركة خلف ابن سمح حفيد ابن الخطاب، الذي أراد يتولى نفوسة بعد وفاة أبيه معتمدا على نسب دون استشارة أو قبوله.[6] وقد نجح خلف في الاستحواذ على معظم أنحاء الجبل ومات الإمام عبد الوهاب ومعظم أجزاء الشرقية بحوزة خلف إبن سمح، واستمرت حركة خلف وتفاقم خطرها خلال عشرين عام من حكم أفلح ابن عبد الوهاب.[7]

- الثورة الرابعة: وهي ليست بمفهوم ثورة كاملة ولكن أن بعض أيدي الأئمة دبرت اغتيال زعيم يسمى ابن عرفة ثم نسب الإغتيال إلى الإمام ووقفت مجموعات من ناس تطالب بالثأر من الإمام ووقعت عدة معارك ذهبت فيها دماء وأموال ثم إعتزل الإمام وتم إختيار إمام جديد وبذالك انتهت تلك الثورة.[8]

1- الواصلية: هم قوم من البربر أكثرهم من قبائل زناتة. شرعوا في التحرك عندما أحسوا ببعض الفرقة في الإباضية وتزعم شاب فيهم رجل منتحل المناظرة وجرت بينه وبين الإمام مناظرات كثيرة، ودار القتال أكثر من مرة بين الطرفين، أبي زكريا، المصدر السابق، ص 60-69.

2- الدرجيني ابو العباس أحمد بن سعيد، المصدر السابق، ج1، ص 60-69.

3- قبيلة هوارة: هي بطن من البرانس تنسب إلى الهواريين ومن بطون هوارة كانت مواطنهم زمن الفتح الإسلامي حول طرابلس الى سرت وكانوا متعصبين إلى الخوارج، ثم إعتنقوا مذهب الإباضية. انظر:إبن خلدون، العبر، ج 6ص 116.

4- كانت زمن الفتح الإسلامي تسكن برقة موطنهم بطرابلس.

5- ابن صغير، المصدر السابق، ص 55-52.

6- إبراهيم بكبير بحاز، المرجع السابق، ص 120.

7- محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص 165.164.

8- علي يحي عمر، المرجع السابق، ص 29.

وكان عهد الإمام أبي اليقظان بعد قضائه على فتنة العباسيين في تيهرت مستقرا وهادئا بفضل حزمه ودهائه وعون الله لدينه إلا أن الدولة كانت منهوكة بطول المسير والبناء وتحققت كل آمالها فغرقت في الحضارة ونعيم فدخلت في شيخوختها[1] وكان لأبي اليقظان أولاد كثيرون أكبرهم اليقظان الذي كني به وأبو حاتم وأبوا خالد وعبد الوهاب، وكانت العامة تميل إلى أبي حاتم وتؤثره على شخصيته المحبوبة.[2] وبعد تولي أبي حاتم الإمامة بفترة قصيرة قام الدعاة يحرضون على الفتنة ويدعون إلى الفرقة وأكثروا من النجوى، فرأى الإمام أن ينفيهم من العاصمة حتى يقلل من شأنهم.[3]

فتظاهروا أنهم مظلومون مضطهدون وجهزوا جيشا وهجموا على العاصمة، وبدلا من أن يلاقيهم الإمام بالقلة التي معه فضل أن يخلي لهم المدينة فخرج حتى سمع به الناس والتحقوا ورجع بجيشه وحاصر العاصمة، فسلموا أنفسهم ورجعت الأمور إلى نصابها.

- الثورة الخامسة واستشهاد أبي حاتم: كان اليقظان أكبر أبناء أبي اليقظان وكان أسن من أبي حاتم فرأى اليقظان وأبناؤه أنه لكبر سنه أولى بالإمامة من أبي حاتم،[4] وكان أولاد اليقظان يكنون حقدا على الإمام إلا أن ذالك لم يعرفه عنهما أحد إلا أن أتتهم الفرصة في يوم من لأيام فوثبا على الإمام فقتلاه، ونصبا والدهما إماما عن الدولة لكن فرحتهم لم تتم فقد أعرض عنهما الناس وتبرؤا منهم، ثم لم يلبثا أن قدم عليهم أبو عبد الله الحجاني فقتل الوالد والولدين وبقية أفراد الأسرة وانتهت بذالك الدولة الرستمية[5] واستشهد أبوا حاتم في سنة أربع وتسعين ومائتين وكانت مدة إمامته أربع عشرة سنة إلا أربعة أشهر، ولم تدم الدولة بعده إلا سنتين ثم قوضها الإعصار وهدمتها الدولة العبيدية.[6]

ب/- عدم تكوين الدولة الرستمية لجيش نظامي محترف: إضافة إلى الفتن الداخلية والثورات التي كانت سببا في إضعاف وشيخوخة الدولة الرستمية عدم تكوين الدولة لجيش قوي يصد العدو الخارجي وكذا

1- محمد علي الدبوز، المرجع السابق، ص 515.

2- المرجع نفسه، ص516 .

3- علي يحي عمر، المرجع السابق، ص 35.

4- محمد علي الدبوز، المرجع السابق، ص527 .

5- علي يحي عمر، المرجع السابق، ص 35.

6- الدولة العبيدية: تسمى العبيدية نسبة إلى ملكها عبيد الله المهدي نشأت هذه الدولة في جبال كتامة. محمد علي الدبوز، المرجع السابق، ص 528.

الحروب التي أنهكت كاهل الدولة. فالدولة الرستمية هي الدولة الوحيدة في ذالك الحين التي ليس لها جند قابع في الثكنات ينتظر التعليمات ويحلم بالمكاسب والمغانم من وراء الحرب والغارات.[1]

وقد نتج عن هذا الوضع نتيجتان واضحتان في جميع المعارك والحروب أن الدولة الرستمية غالبا ما تصاب بالخسائر في الهجمة الأولى وقد تخرج من العاصمة في بعض الأحيان حتى يتسامع الناس ويتلاحقون ويتأهبون لرد العدوان فتكون لهم الكرة لأن الهجوم المفاجئ لا يقابله جند مستعدون للحرب وإنما يقع وناس في أعمالهم الحرة موزعين في مختلف الميادين.[2]

أما نتيجة الثانية فهي ما إن يتجمع المتطوعون ويحاربون مع مقاتليهم حتى ينتصرون بسهولة لأن المتطوع جاء يحارب من أجل عقيدته وعرضه ويبذل ما يملك من قوة عكس الجندي الذي يكون مأجورا ويحارب امتثالا لقائده.[3]

-2/ أسباب خارجية: الحروب وتربص العدو الخارجي (الشيعة): شهدت الدولة الرستمية العديد من الوقائع والأحداث كان لها انعكاس سلبي على أمن الدولة كنشوب بعض الصراعات والحروب وضعف الأئمة المتأخرين وظهور الدعوة الشيعية وهذا ما عجل بسقوط الدولة وانقراضها.

- الحروب: خاضت الدولة الرستمية عديد الحروب والمعارك كانت من بين أسباب سقوطها ومنها:

الحرب الأولى: جرت عبر مناوشات وقعت بين الدولة الرستمية والأغلبية في طرابلس وسببها أن جندا من الأغالبة خرج إلى القبائل الحدودية التابعة للدولة الرستمية واعتدى عليها وسلب منهم أملاكهم فذهب أولائك الناس للإمام عبد الوهاب في جبل نفوسة يشتكون إليه فجهز جيشا وذهب به إلى طرابلس وسرعان ما تبع ابراهيم إبن الأغلب فجهز جيشا للحفاظ على ممتلكات دولته بطرابلس ووصل عبد الوهاب وجيشه فحاصر الجيش الأغلبي، ليطلب عبد الله وهو ابن إبراهيم إبن الأغلب بعقد صلح ووقف العدوان على أن تكون طرابلس للأغالبة وما عداها للرستميين فوافق عبد الوهاب.[4]

1- علي يحي عمر، المرجع السابق، ص 35.

2- المرجع نفسه، ص 36.

3- المرجع نفسه.

4- علي يحي عمر، المرجع السابق، ص 33.

الحرب الثانية: خلالها قرر إبراهيم إبن الأغلب الإنتقام من إبن طولون[1] بإحتلال مصر وإضافتها لدولته فجهز جيشا وإتجه به للشرق حتى سمع أتباع الدولة الرستمية بما عزم به إبن الأغلب وتوقعوا منه الشر كونه سيمر من أراضيهم فأخبروه بعدم سماحهم له بالمرور من أراضيهم وتمسك كل منهم برأيه وإلتقى جيشان وكتب النصر لبني الأغلب وأصيب خلاله ولم يتمكن من المواصلة وتنفيذ قراره.[2]

الحرب الثالثة: كانت أثنائها الدولة العبيدية قد كونت نفسها وبدأت تكتسح المغرب الإسلامي بلدا بلدا،[3] وكان أبوا عبد الله داهية عبقري وسياسيا ماهرا وبطلا من أبطال الحروب وفارسا من فرسانها فإستطاع بدهائه وفصاحته أن يغرس مثله الأعلى في كتامة[4] وهو إن شاء الدولة الشيعة فإستغل لهفتهم إلى الملك فجرهم إليه فكانوا جنده وأنصاره ثم هاجم الدولة الرستمية فقضى عليها.

ونحن حين نسمي إستيلاء الدولة العبيدية على تيهرت حربا نكون قد بالغنا كثيراً في التعبير لأن تيهرت في ذالك الحين لم يبقى منها من آثار الدولة الرستمية إلا الرماد. وعلى كل حال فقد هجمت الدولة العبيدية على تيهرت التي كانت عاصمة الدولة الرستمية فخربت المدينة وأحرقت المكتبة المعصومة وقتلت من بقي بها من سكان.[5]

ثانيا: نتائج سقوط مدينة تيهرت: خلف سقوط مدينة تيهرت على يد العبيديين العديد من الأحداث كانت نتائجها قاسية على الدولة الرستمية أهمها:

1/- إحراق الشيعة لمكتبة المعصومة وقضائه على تراث الدولة الرستمية:

فبعد دخول الشيعة دار المعصومة دار الإمامة في تيهرت استولوا على أموالها وكل نفس فيها وكان أبو عبد الله الشيعي عالما كبيرا وذكيا فرأى المكتبة المعصومة فهاله ضخامتها وكثرة كتبها.[6] فإذا بقيت وانتشرت فستكون البذور التي تزرع الإمامة الإسلامية في العالم الإسلامي فلا بد من إزالتها أو الانتفاع بها

1- إبن طولون: مؤسس الدولة الطولونية التي قامت بمصر وشام. أنظر ابي زكريا، المصدر السابق ص58.

2- علي يحي عمر، المرجع السابق، ص 33.

3- المرجع نفسه، ص 33.

4- كتامة: هاته القبيلة من القبائل البربر بالمغرب أشدهم بأسا وقوة وأطولهم باعا في الملك وعند نسابة البربر من ولد كتامة من برنس وكانت في إيكيجان وسطيف وباغاية ونقاوس والبونة، أنضر : إبن خلدون ج 6، ص 301.

5- محمد علي الدبوز، المرجع السابق، ص 32- 34.

6- المرجع نفسه ص 35.

في دولته، فإختار من مكتبة المعصومة الكتب النفيسة في الرياضة والطب والفلاحة والهندسة ثم أحرق الباقي من كتب الشريعة والتاريخ والأدب والتي لطالما شكلت مرآة الدولة الرستمية، وطمس العبيديون آثارها وقضوا على الدولة الرستمية باحتلال العاصمة.[1]

2/- استئصال الشيعة للرؤساء الجمهوريين وعلمائها: تتبع العبيديون الرؤساء الجمهويون في المغرب الأوسط وفي تيهرت بقتلهم وإعتدوا على حرمتهم فهرب معضمهم إلى جبال الأوراس المنيعة وإلى جبل بني راشد (جبال عمور) فحلوا في مدينة وارجلان[2] بالصحراء وجبل نفوسة وجربة[3] وإلى كل مكان لا يعرفون أن العبيديين لا يحتلونه ولا يطمعون فيه.

وتحت ضغط أولئك الحكام وقسوتهم تفرق الإباضية من تلك المنطقة وشردوا إلى جميع بحيث كان إتجاهم إلى النواحي الأخرى وعاش الإباضية في جميع الأمكنة دون أن يكونوا لأنفسهم كيان سياسي (أي دولة) أو يدعوا إلى تكوينه وإنما أسسوا لأنفسهم نضاما جديدا سموه نضام العزابة[4] سنتطرق إليه في المبحث الأخير.

3/- إكراه أهل المغرب على إعتناق المذهب الإسماعيلي:

بعد ان قضى العبيديون على الدولة الرستمية بإحتلال العاصمة وتشريد رؤساء وقتلهم عمدوا إلى قبائل الجمهورية في أنحاء المغرب الأوسط فحملوها بالسيف على المذهب الباطني وحرموا ذكر الإمامة الإسلامية وبثوا دعوتهم في كل أنحاء المغرب وقالوا في الإباضية اللذين يتمسكون بالإمامة الإسلامية كل ما يبعد القلوب عنهم وإستمرت هذه الدعاية البارعة عشرة قرون إنما معركة من الملكية المطلقة ضد الإمامة الإسلامية التي تمسك بها الراشدون وتمسك بها المغرب.[5]

1- علي يحي عمر، المرجع السابق، ص 17.

2- وارجلان: هي ورقلة الحالية عاصمة الرستميين الثانية وهي بلد خصب كثير النخيل والبساتين كثير الزرع كثير المياه وقد تعلم سكانها من الإباضية القسوة في العيش في الطبيعة الصحراوية... وبنو العديد من القرى المحصنة والقريبة من بعضها البعض، أنظر: كاتب مراكشي، الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1986، ج1، ص 224.

3- جربة: جزيرة جربة في الساحل التونسي على مقربة من فاس، كاتب مراكشي، المصدر السابق، ص 119.

4- العزابة: يقول الدرجيني أول ما أطلق لفض عزابي أيام أبي عبد الله محمد بن بكر لما أسس الحلقة ورتب قوانينها. الدرجيني ابو العباس أحمد بن سعيد، المصدر السابق، ص 04.

5- محمد علي الدبوز، المرجع السابق، ص535.

4/- ارتحال أهالي تيهرت منها في القرن السابع:

أخذت مدينة تيهرت في الأدبار، وجلت عنها الطبقات الراقية التي كانت تعمرها وكسفتها الذلة وقد صيرها الشيعة ومن جاء بعدهم من دول المغرب. فارتحل منها أهلها في سنة عشرين وست مائة 620هـ وأتى زمان على ما بقي منها وهي اليوم أطلال وآثار تحت الأرض. ولازالت تلك الأطلال ورسوم إلى حد الآن وهذا دليل على عظمتها.[1]

1- المرجع نفسه، ص536.

المبحث الثاني: أوضاع الاباضيين بعد سقوط تيهرت عام 296هـ

المطلب الأول: انهيار النظام السياسي الاباضي بمدينة تيهرت.

المطلب الثاني: تغير المذهب الديني في المدينة تيهرت.

المطلب الثالث: طرد الاباضيين من المدينة تيهرت

المبحث الثاني: أوضاع الاباضيين بعد سقوط تيهرت عام 296هـ:

المطلب الأول: انهيار النظام السياسي الاباضي بمدينة تيهرت:

مع سقوط مدينة تيهرت علي يد الشيعة العبيديين انهار نضام سياسي بالمدينة وساءت أوضاع الإباضيين، لقد حدث ما تمناه وعمل عليه أبي عبد الله الشيعي من احتلال تيهرت والقضاء على الدولة الرستمية وعلى الإمامة الإسلامية بشكل خاص والتي لطالما كان يكن لها الحقد والبغض وارتكب فيها المجازر التي تظهر مدى الحقد الذي كان يكنه للإمامة الإسلامية، وهو ما أزم أوضاع الإباضيين أكثر حيث انهار نضام سياسي بتيهرت وفروا ومنها خوفا من بطش شيعيين.

عرفت فترة حكم الإمام أبي حاتم يوسف بن أبي اليقضان (294.281//908م. 894) نوعاً من اللا إستقرار بسبب ما حدث بينه وبين عمه يعقوب بن أفلح[1]رغم ذالك بقي في الحكم إلى أن قتل من طرف أبناء أخيه اليقضان والذي تولى الحكم بعده[2] ولم يدم ذالك طويلا إذ قدم العبيديون.[3]

وإستولوا على تيهرت سنة (269هـ/908)وكانت بذالك نهاية الدولة الرستمية على أيديهم[4] وتحت ضغط أولئك الحكام وقسوتهم تفرق الإباضية وشردوا إلى جميع الجهات وكان توجههم إلى المشرق أكثر من توجههم إلى النواحي الأخرى[5] وهذا بسبب تكتل الإباضية في الواحات مثل وارجلان وغيرها من الواحات الواقعة في خطها مثل الباغاي[6] وزاب[7] وعاش الإباضية في جميع هذه الأمكنة دون أن يكونوا لهم كيانا سياسيا (أي دولة) أو يدعوا إلى تكوينه وإنما كانو يعيشون تحت نضام عزابة الذي سنتحدث عنه بالتفصيل في مبحثنا الأخير.

1- إبن الصغير، المصدر السابق، ص 91.

2- سليمان بن عبد الله الباروني باشا، المصدر السابق، ص 291.

3- المصدر نفسه، ص292.

4- علي يحي عمر، المرجع السابق، ص 186

5- المرجع نفسه.

6- الباغاي: أو باغاية يقول البكري هي بمقربة من جبل الأوراس فيما يقول أبوا زكريا أنها تقع في المشرق الجزائري حاليا. ابي عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد، 1968، ص 55.

7- الزاب: هو تعريف قديم للقسم الجنوبي من عمالة قسنطينة في قاعدة مدينة بسكرة. أنظر: الحسن عبد الوهاب حسني، خلاصة تاريخ تونس، الدار التونسية للنشر والتوزيع، 1968، ط1، ص 52.

أما القوة التي إستطاع بها هذا المجلس أن يقود المجتمع بنجاح وأن يفرض طاعته على ناس وأن يكسب إحترامهم، فهي إستقامة أعضاء المجلس ونزاهتهم وحسن سيرتهم وسلوكهم وعلاجهم للمشاكل عند ثورتها وعدم تركها حتى تستفحل.[1] إذ تورد المصادر الإباضية أن دوسر بنت من بني يقضان،[2] فسار أبو عبد الله حتى حل بمدينة تيهرت فدخلها بالأمان وقتل اليقضان إبن أبي العباس إذ نصبت على باب مدينة رقادة.[3] بعد أن طافوا بهم في القيروان.[4]

أما دوسرا فيذكر عنها أنها لما أدركت أنه قتلهم هربت حتى لا يتزوجها، حيث إختلفت المصادر في هذا الأمر فأبوا زكريا ء يقول بأنها فرت ثم يتكلم عن فرار يعقوب إلى وارجلان، لكن الدرجيني يقول بأنه فر مع إبنة أخيه وتوجها إلى "وارجلان".[5]

وكانت الدولة العبيدية عندما تغلبت على الدولة الرستمية في تهرت لا تخشى أحدا كما تخشى أبا يوسف يعقوب بن أفلح، ولا تخشى بلدا من البلدان الإباضية كما تخشى "وارجلان". فلما فر أبوا يوسف متجها إلى الجنوب تبعته فرق من الجيش العبيدي ولا حقته حتى وصل إلى "وارجلان" فرجعوا من دون قتله أو أسره.[6] وكانت مع أبي يوسف جموع من الناس اللذين هاجروا من شمال إلى الجنوب فعرضوا على الإمام يعقوب[7] أن يبايعوه إماما عليهم.[8] فقال:"لا تستتر الجمال بالغنم". ومكث عندهم طويلا هو وأهله.[9]

1- علي يحي عمر، المرجع السابق، ص 187.

2 - ابي زكرياء، المصدر السابق، ص 162-163.

3 - رقادة: يقال تبتعد عن قيروان بأربعة أميال. راجع: ابي عبيد البكري، المصدر السابق، ص 27

4- القيروان: مدينة تونس الحالية اختطها عقبة بن نافع الفهري سنة 53هـ /650م بها مسجد القيروان منسوبة إليه حتى الآن ولفض القيروان فارسي الأصل، أنظر: حسن عبد الوهاب حسني، المرجع السابق، ص56.

5- ابي زكرياء، المصدر السابق، ص 163.

6- علي يحي عمر، المرجع السابق، ص 565.

7- يعقوب بن أفلح: تذكر عنه المصادر بأن أباه كان يحذر منه لأنه كان يقرأ كتب أهل الخلاف ويدرسها. ابي زكرياء، المصدر السابق، ص 179.

8- المصدر نفسه، ص 179.

9- سليمان بن عبد الله الباروني باشا، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، تح: أحمد كروم وعمر، دار البعث، قسنطينة، الجزائر ، 2002 ، ط3، ج 2. ص 57.

وهكذا آل الحكم لبني عبيد، ولم تتمكن الإباضية من إقامة إمامة ظهور أخرى لليوم، ولربما صدق تنبؤ يعقوب بن أفلح إذ تذكر المصادر بأنه نضر في الطالع فقال لهم: "إنه لا يجتمع منكم ثلاثة إلا كان عليهم الطلب إذا افترقوا فقد انقضت أيامكم وزال ملككم ولا يعود إليكم إلى يوم القيامة".[1]

وحدثت إفتراقات في صفوف الإباضية في هذه الفترة ولكنهم لم يشاؤوا أن يشغلوا بالهم بذالك ولا أن يتطلعوا إليه، ومن أبرز شواهد على ذلك ما كان عليه الإباضية في عصر أبا القاسم يزيد بن مخلد وذالك في عهد المعز لدين الله الفاطمي، فقد اوتيت الظروف أبا القاسم واجتمعت الإباضية وغير الإباضية على حبه وطاعته.[2] وقاد أبوا يزيد المخلد ثورته على الفاطميين.[3] وخرب كل قرية مر بها وسبى النساء وإستباح الأموال، حتى أن الدرجيني قال عنه: "وفعل بإفريقية ما لم تفعله الفراعنة ولا أحدا من ملوك أهل الكفار".[4] وكانت نهايته على يد خليفة المنصور.[5] أين ألقي عليه القبض وقاموا بسلخه حتى مات في محرم سنة(336هـ/946).[6] وكان هذا الإغتيال سببا في ثورة عارمة قام بها بعض أصدقاء أبي القاسم وتلاميذه وأتباعه.

جعلت هذه الثورة المعز يترنح من فوق عرشه، ويتنازل عن كبريائه ويعرض الصلح على أولئك الثائرين ويتنازل لهم[7] حيث قاد هذه الثورة ضد أبي الخزر يغلى بن زلتاف إنتقاما لأبي القاسم يزيد بن مخلد.[8] إذ أن هذا الأخير كانت له مكانة خاصة عند الخليفة الفاطمي وعند بادية إفريقية، إذ تذكر المصادر الإباضية بأن عدد فرسانها إثنى عشر ألف فارس.[9]

1- أبي زكرياء، المصدر السابق، ص 178.

2- علي يحي عمر، المرجع السابق، ص 255-256.

3- ابي زكرياء، المصدر السابق، ص 164.

4- أبي القاسم مخلد بن كيداد: والده الكيداد كان يذهب للسودان فولد له ولد من جارية هناك فأتى به إلى توزر (بتونس) ونشأ بها وخالط جماعة النكار وقاد ثورته ضد الفاطميين. أنظر: أبي زكرياء، المصدر السابق، ص 168-171.

5- الدرجيني، المصدر السابق، ص 101.

6- هو ثالث خليفة للدولة الفاطمية في المغرب، الدرجيني، المصدر نفسه، ص141.

7- علي يحي عمر، المرجع السابق، ص 156-157.

8- كان أبوا القاسم ذوا مال كثير وأبوا الخزر كانت معيشته من كسب يده وكانا يقرأان في كتاب واحد ويتداولان عليه رفقة بعضهما. أبي زكريا ء، المصدر السابق، ص 194.

9- المصدر نفسه، ص119.

ذلك ما جعل المعز يتنازل لهم عما كانت أيدي الإباضية عليه في عهد الدولة الرستمية من البلاد، فلم يقبلوا بذلك لأنهم لم يثوروا طلبا للملك.[1] حيث لما علم المعز بخروجهم أرسل إليهم: "أن إرجعوا إلى بلادكم التي كانت بها أوائلكم قبل هذا من تهرت وغيرها فتكونوا على ما كانت عليه أوائلكم ونكون على ما كان عليه أوائلنا".[2] ولكنهم أبوا إلا الثأر لأبي القاسم، وعقدوا لأبي الخزر إمامة الدفاع على أن يعقدوا له ولاية الظهور إذا ضفروا بالعدو.

ولما قبض إسماعيل المنصور على صاحب الحمار توجه إلى تيهرت في صفر سنة 36هـ ففر منها حميد،[3] وملك المدينة وأحرق منبرها وولى عليها ميسورا الفتى وثار التيهرتيون بميسور ودارت الحرب بين الجمعين وقتل حمزة بن محمد بن خزر، وتم أسر ميسور، وفتحت زناتة وولي العبيديون يعلى بن محمد اليفرني على تهرت والمغرب الأوسط. وفي سنة 47هـ جهز جوهرا الصقلي لإخضاع المغرب وأمر ولاة الجهات بإمداده وخرج معه جمع غفير، وانضم إليهم محمد إبن خزر بداعي منافسة يعلى بن محمد اليفرني، وإلتقى الجمعان على مقربة من تاهرت، حيث قال إبن أبي الزرع: " فالتحمت الحرب بين الفريقين، وبذل جوهر الأموال لقواد كتامة على قتل يعلى،فصمم منهم عصابة،وصدمت عليه فقتلته وأتت برأسه إلى جوهر،فبعث به إلى المعز فطيف به القيروان". [4]

وكان جبل الأوراس مهد الثورات لحصانة موقعه واختلاف سكانه وكانت عاصمته باغاية،تنتخب الدولة لولايتها الأكفاء المخلصين من أولياءها، وفي سنة 331هـ انعقد بجبل الأوراس مؤتمر الثورة فبايعوا أبا يزيد المخلد بن كيداد[5] ولقب بشيخ المؤمنين الذي حاصر العبيدين وإستولى على المغرب الأوسط.[6] ثم أساء السيرة، فضجت منه الأمة وخذلته فتغلب عليه العبيديون. حيث كان الدافع الرئيسي للقيام بهذه الثورة هو عداوة الأمة لمذهب الحكومة.

1- علي يحي عمر، المرجع السابق، ص 157.

2- مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص143.

3- حميد: هو إبن أبي القاسم بن المهدي عين واليا على تيهرت بعد وفاة والده سنة 319هـ. انظر: مبارك ميلي، المرجع نفسه، ص 149.

4-المرجع نفسه. ص 144.

5- أبي يزيد مخلد بن كيداد: أصله من جريد ونسبه في بني واركوا من يفرن،ونشأ فقيرا مشتغلا بالعلم ولأدب حيث كان له حما ر أشهب فدعي بذالك بصاحب الحمار.مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص 145.

6- المغرب الأوسط: يشمل بلاد الجزائر وكانت عاصمته تيهرت في عهد الدولة الرستمية الخارجية الإباضية. مبارك بن محمد الميلي، المرجع نفسه، ص 219.

لكن رغم هزيمته لم يتوقف أبا يزيد الطعن في الحكومة الشيعية وخشي ناس مجالسته فهاجروه، ثم نزل على بني كملان من هوارة فأيدوه على الثورة، ثم ألتحق به محمد بن خزر وأخوه معبد واجتمعت إليه هوارة وزناتة ونفوسة وغيرها. ولما أعجب بكثرة جموعه وانتصاراته إنتقل إلى ركوب جياد ولخيل وإستباح الدماء والفروج.[1]

انحصر أبوا يزيد بجبل كيانة وهو قلعة بني حماد، وكان طعام يأتي إليه من بنطيوس وغيرها، فكتب المنصور لزناتة بالإغارة عليهم فانقطعت عنهم المأونة، وتقابلا في باتنة،[2] وانهزم أبوا يزيد المخلد في المعركة، وبقيت هوارة أوراس على ثورتها فجهز لها المعز بن منصور واجتمعوا بسفح الغزالة قريبا من باغاية فهزمهم وتشتتوا في بلاد الزاب وولى مولاه قيصر الصقلي على باغاية. وفي سنة358هـ ثار بالجريد أبوا الخزر الزناتي من الإباضية الوهبية.[3] وامتدت ثورته لوادي ريغ وورڤلة،فخرج إليه المعز نفسه وتشتت جموعه. وهكذا شقي العبيديون وأصبح تاريخهم بالمغرب حربيا خرابيا أكثر منه مدنيا عمرانيا.

ولما إجتمعت عليه قوة مزاتة[4] لم ينتظر الإمداد وتوجه إلى باغاي وحاصرها[5] وكان ذالك سنة (358هـ /968م) ودار بينهم قتال وإنهزم أبوا الخزر بعد خيانة فخذ من مزاتة.[6] وذلك أن فخذا من مزاتة من عسكر أبي الخزر يقال له بني يليان غلب فيهم حب الطمع على صيانة الأحساب فعرف أهل الموضع أن الطمع قد إستهواهم وأن بمصانعتهم يدركون مناهم، فجازوهم في الخفاء بمال جزيل على أن ينهزموا بغير قتال، ويكونوا سببا للفشل في عسكر أبوا الخزر،[7] وفر أبوا الخزر إلى جبل تلتاجمرت.[8] ثم توجه إلى جبل نفوسة وإستقر بها.

1- مبارك بن محمد الميلي، المرجع نفسه، ص 145.

2- باتنة : هي المعروفة اليوم بجبل الأوراس، أنظر: مبارك بن محمد الميلي، المرجع نفسه، ص 148.

3- الوهبية: هي الإباضية الأم الحاكمة في الدولة الرستمية، وهي نسبة إلى الإمام عبد الوهاب.أنظر: إبن صغير، المصدر السابق، ص 43 .

4- إبن خلدون،:العبر،ج6، ص 115 وما بعدها.

5- الدرجيني، المصدر السابق، ص130.123

6- المصدر نفسه، ص 129.

7- أبي زكريا، المصدر السابق، ص206.

8- تلتاجمرت: كل ما تذكره المصادر الإباضية، بأنه جبل. معجم الأعلام الإباضية، قسم المغرب، جمعية التراث القرارة، غرداية، الجزائر، 1999. ص 315.

وأما أبا نوح فتخنس ولبس العباءة وضل يرعى الإبل، وأرسل أبي تميم في طلبهم فبينما هم يطلبونه إذ صادفت الرسل أبا نوح راعيا متنكرا على الحالة الموصوفة وقالوا له ليس مثلك يرعى الإبل وقيدوه في الأصفاد وقادوه إلى أبي تميم.[1]

وجمع أبا تميم أصحابه و وزراءه وكتابه وتأمل الكتاب الذي كتبه أبا نوح إلى بني أمية فذكر لهم أن الكاتب هو أبي الخزر ثم قال أبوا تميم نعم ما هذا بخطك. وشفع إبن بلكين بن زيرى الصنهاجي في أبا نوح.[2] ومنذ هذه المعركة دخل الإباضية في أمان بعد أن عفى أبي تميم عن أبوا نوح حيث يقول أبوا زكرياء: " فبعث في أقاليم الوهبية كلهم بالأمان وأن لا يهيج منهم أحد" فذكر المشائخ أن أهل الدعوة في أمانه ذالك أنهم سالموا فسلموا. ولما سكنت تلك ثورة ورجع ناس إلى حياتهم العادية كان أفراد من رؤساء القبائل والزعماء والعشائر يعدون للقيام بثورات أخرى.[3] حتى جاء الإمام أبوا عبد الله محمد بن بكر.[4] والذي إستبعد فكرة الثورات والحروب والقيام بدولة أو محاربة الحكام من أذهان الناس وإتجه بالمجتمع الإباضي عبر الإهتمام بالنفس والمجتمع دون الإهتمام بالدولة.[5]

وكان أبوا عبد لله محمد بن بكر من أكثر ناس علما وورعا[6] حيث يقول عنه الدرجيني: بلغنا أنه في أيام قراءته على أبي زكرياء نظر إليه فرأى إجتهاده فقال: "إن أصاب قولي فإن هذا الفتى يحيي الله به الدين". فصدق قول الشيخ[7] وحول سيرة ناس بعد وقعة مانوا من عرف جرى عليه ناس وعادات استحسنوها وتمسكوا بها إلى حيز الدراسة والبحث العلمي.[8]

1- أبي زكريا، المصدر السابق، ص206.

2- الدرجيني، المصدر السابق، ص 132- 134.

3- أبي زكرياء، المصدر السابق، ص 210.

4- أبوا عبد الله محمد بن بكر : ولد بفرسطاء بجبل نفوسة بتاريخ 345هـ /956م تعلم على يد كل من أبي نوح سعيد بن زنغيل، ثم إنتقل إلى جربة ليتعم عند أبي زكرياء بن أبي مسور كما توجه إلى القيروان ليتعلم بها النحو والعربية. أنظر: علي يحي عمر، المرجع السابق، ص 205.

5- المرجع نفسه، ص 202.

6- الدرجيني، المصدر السابق، ص 167.

7- المصدر نفسه، ص 167.

8- علي يحي عمر، المرجع السابق، ص 203.

وبعد كل الذي رآه الشيخ أبي زكرياء وسمعه عن أبوا عبد لله محمد بن بكر أمر ولديه زكرياء ويونس وغيرهم من أقاربه وقال لهم أطلبوه فحيثما وجدتموه فلازموه،[1] فلما ألف لله شملهم به أعلموه بما جاؤوا في طلبه وسبب مفارقتهم جزيرة جربة بحيث لم تكن له إجابة في البداية، ثم أوجب على نفسه وعطف عليهم بما سمع.[2]

فتأسست الحلقة في مسجد المنية[3] وكان ذلك في العام الذي قامت فيه زناتة على صنهاجة ثم شاور أبوا عبد لله أصحابه للإنتقال إلى مغراوة ريغ فوافقوا وكان إنتقالهم سنة 409هـ.[4] فنظم حلقة العزابة، وحدد فيها اختصاصات كل من الهيئات والأفراد، وإعتنى عناية خاصة بقضايا التربية والتعليم وجعل لهما منهاجا.[5] وبالجملة فإن الإمام أبوا عبد لله هو الذي حول بطريقة عملية مجرى تاريخ الإباضية فأبعدهم عن تهارش على مناصب الحكم الدنيوي والنزاع على السلطة. ودعاهم إلى تنظيم حياتهم تنظيما إسلاميا يلزمون فيه أحكام الله على الفرد وعلى المجتمع. ومنذ ذالك الحين تخلى إباضية المغرب عن تفكير في موضوع الحكم، وساروا بنظام العزابة في وحدة متكامة متعاونة محافظة على دين الله حريصة على إتباع سيرة المحسنين من سلف زكريا.[6]

1- أبي زكرياء: أبي زكرياء توبكتي نسبة إلى توبكت جنوب تمزدة بالرحبيات بليبيا وبها ضريحه، وقد ذكره الدرجيني ضمن علماء الطبقة الخامسة (200/250هـ). أنظر: الدرجيني، المصدر السابق، ص 78.

2- المصدر نفسه، ص 167-169.

3- مسجد منية: يقع خارج كنومة بتقيوس بالجنوب تونسي. وكانت إذ ذالك عامرة. الدرجيني، ص 128.

4- المصدر نفسه، ص 169.

5- المصدر نفسه، ص 170.

6- علي يحي عمر، المرجع السابق، ص 203.

المطلب الثاني: تغير المذهب الديني في المدينة تيهرت:

دخلت تيهرت في حكم العبديين سنة 296 هـ فجعلوها قاعدة للمغرب الوسط.[1] وكان المذهب الإباضي هو الذي يشكل الأغلبية في المدينة بطبيعة الحال.[2] فكان على العبديين أن يغيرو الأوضاع وينشروا مذهب، ولقد جد الحكام العبديين في القضاء على المذهب الإباضي ومن ينتسب إليه لأنهم يرون أن الإباضية أشد فرق الأمة معارضة لبدعهم و نقدا لتصرفاتهم و غلوهم وإظهارا لإنحرفاتهم.[3]

ودخل المذهب الشيعي للمغرب عن طريق رحلان يعرف أحدهما بالحلواتي والآخر بسفياتي وأنقذهما الشيعة إلى هناك وقالو أن للعرب أرضا بورا فإذهبا وإحراثاها حتى يحيى صاحب البذر، وساروا إلي ذلك فلما وصلا إلى "مرماجانة"[4] نزل أحدهما وكان أبو سفيان بموضع يقال له "تالا" فإعتنق مذهبه عدد من الأشخاص.[5] وذكر الدرجيني أن أبي القاسم الداعي صادف جماعة من كتامة ممن حجوا في تلك السنة وكان منهم ما تقدم من درجة التشيع فصاحبهم حتى أنزلوه قلعة إيكيتان بنظر ميلة في بلاد كتامة.[6]

وأقام في كتامة داعيا لمدة سنتين تمكنت به الدعوة الشيعية وإنتشرت فيما يلي من الجهات بعد أن عبأ العساكر وكابر الحروب، وعند موته ترك وصية للمهدي عبيدة الله في كتابه يبين أن الأمور قد تمهدت في بلاد المغرب لنشر مذهبهم.

ومن هنا بدأ التشيع في بلاد المغرب.[7] والدور التي لعبته كتامة في تأسيس الدولة الفاطمية وتوسعات العبيديين بإفريقيا والدور المذهبي والعسكري والسياسي.[8]

1- مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص 141.

2- علي يحي معمر، المرجع السابق، ص 193.

3- المرجع نفسه، ص 186.

4- مرماجنة: قرية من قرى هوارة بإفريقية، و ذكر الحموي أنها تبعد عن الأربس بمرحلة غير أنه لم يحدد موقعها._ابن الحوقل، المصدر السابق، ص 74._

5- فاطمة بلهواري، الفاطميون وحركة المعارضة في المغرب الإسلامي، دار المسك للطباعة والنشر ، وزارة الثقافة، الجزائر، 2013، ص 13 -14.

6- الدرجيني، المصدر السابق، ص 92.

7- المصدر نفسه، ص93.

8- موسى لقبال، دور كتامة في توسع الخلافة الفاطمية، مطبعة زبانة، الجزائر، 1979، ص 363.

أما عن دخولهم لتيهرت فقد إستغل العبديون الظروف السياسية للمدينة بعد الفتن والحروب التي وقعت بالمدينة و خاصة في أواخر عهدهم فعندما اجتاز أبي عبد الله على تيهرت اشتكوا له بعض السكان من طلم أبو اليقظان وغدره بالإمام يوسف.[1]

وهذا لأن الدولة الفاطمية تأسست بالدعاية الدينية وحنكة سياسية اللتين كانت لأبي عبد الله الشيعي.[2] حيث إبتدأ بتعليم المذهب الإسماعيلي ثم أعلن الإمامة الفاطمية وأخذ يذكر المهدي وقرب ظهوره.[3] وأن أبي عبد الله الشيعي منذ دخوله إلي تيهرت نهبها وإنتهك حرمتها وأجل كثير من أهلها. فبدخول العبديون قتلوا و غدروا وأرعبوا وهنا تتجلى سياسة الترهيب.[4]

وكانت السلطة العبيدية تجبرهم على أمرين فمنهم من إقتنع المذهب الشيعي على كره ومنهم من قتل أو هاجر اين يأمن بطش العبديين.[5] حيث بادر أبو العباسي بنشر مذهبهم بالقوة على الناس فأمعن باضطهادهم ضربا وتعذيبا، وقتلا لزعماءهم فمثل بهم وصلبهم في الأسواق من اجل التخويف والترهيب.[6] كما اجبر الناس على مذهبها فتشيع كثير من أهل تيهرت رغبة ورهبة.[7] ففي زمن المهدي بعد قتل أبي عبد الله الشيعي وأخوه أبي العباس خالف عليه أهل تيهرت فغزاها وفتحها وقتل المخالفين.[8]

وما إقترفه القاضي محمد إبن عمر المرورزي[9] من أفعال في حق الرعية دليل على التعصب المذهبي الواضح، إذ هو أمر وجوه كتامة بإظهار مشاعر المذهب الإسماعيلي وأخذ يرغم الناس على القيام

1- الدرجيني، المصدر السابق، ص 94.

2- أبي عبد الله الشيعي: رأى كل من إبن العذارى (البيان،ج1،ص124) و المقريزي (الإتعاظ،ج1ص68) أن عبد الله الشيعي من أهل صنعاء إلا أنه يحتمل أنه كوفي الأصل حيث ذكر القاضي النعمان أنه عرف بالصنعاني لتوجه إلى صنعاء اليمن، وهي في ذلك الزمن أحد مراكز الدعوة الإسماعيلية.

3- مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص 134.

4- الدرجيني، المصدر السابق، ص 94 .

5- علي يحي معمر، المرجع السابق، ص 193 .

6- فاطمة بلهواري، المرجع السابق، ص 22-23.

7- مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص 139.

8- إبن الأثير ، الكامل في التاريخ، بيت الأفكار الدولية ، السعودية، د.ت، ص 1124.

9- المرورزي: جند خرسان، والتسمية نسبة لمردوده بإقليم خراسان، اين أسندت له مهام قاضي القضاة. القاضي النعمان المغربي، إفتتاح الدعوة، تح: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1975، ص 247.

بها قائلا لهم: "إعملو بمذهب أهل البيت و أتركوا الفضول."ولم ينحصر الأمر إلا على تيهرت فقط كل المناطق الشمالية والغربية كلها كانت تتعرض لهذه السياسة المفتعلة من الحكام العبديين.

ويمكن القول أن هناك عوامل ساعدت على تغيير المذهب في تيهرت و تراجع المذهب الإباضي، فموت العلماء الإباضيين بسبب الفتن المتوالية والحروب أثر كثيرا على الإباضيين فمنها فش الجهل في أواسط المجتمع الإباضي وعدم معرفتهم لأصول مذهبهم حيث أثر عليهم حتى إعتنقوا مذاهب أخرى.[1]

ومن ناحية المجتمع فتميز بإفتراق كلمة الأمة وإختلافهم فيما بينهم، فتبعثرت به اتجاهات العصبيات القومية والمذهبية.[2] ومن معتقدات الشيعة التي ارادوا نشرها في تيهرت زعمهم أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى لعلي بالخلافة بالنصوص الجلية وعدل عنها الصحابة إلى غيره فوجب البراءة ممن عدل عنها، وعبد الله الشيعي هو الأجدر بالخلافة بالوصاية.

قال القاضي أبو عبد الله بن حماد في كتابه أخبار ملوك بني عبيد و كان ممن أحدث عبيدة الله المهدي أن قطع صلاة التراويح وأمر بصيام يومين قبل رمضان، وقنت صلاة الجمعة قبل الركوع و جهر بالبسملة في صلاة المكتوبة، وأسقطمن أذان الصبح الصلاة خير من النوم وزاد حي على خير العمل محمد وعلي خير البشر ، وكذلك كان الأذان مدة بني عبيد".[3]

وما فعله القاضي محمد إبن عمر المروروذي حيث أمر بإسقاط صلاة الإشفاع في رمضان وإسقاط الحنث عمن طلق بالبتة و إحاطة البنات بالميراث ...الخ ورد عليه رجل وقف عليه في المسجد والناس محيطين به". وقد إحتلت لنا في ترك قيام رمضان فلو إحتلت لنا في ترك صيامه لكفتينا مؤونته" ولم معتقدات أخرى كجعل المهدي نبي ورسول.[4]

وبسبب معتقدات الإسماعلية الغريبة تخالف المذهبين على بعض المسائل وكان هنا خلاف مذهبي حول الأموال التي تجب فيها الزكاة حيث كان الإباضية يرون أن الزكاة واجبة في ستة أشياء من المزروعات و هي الحنطة والشعير و التمر و الزبيب والذرة والسرت أما الإسماعلية يرون أن الزكاة " تجب في كل ما أنبت في الأرض" وأيضا على إنفاقها وأين يتم إنفاقها.[5]

1- فاطمة بلهواري، المرجع السابق، ص 24.

2- علي يحي معمر، المرجع السابق، ص 193.

3- مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص 133.

4- فاطمة بلهواري، المرجع السابق، ص 24.

5- جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص 392-393.

ومسألة تفضيل علي وأنه أفضل على باقي الصحابة الكرام.[1] وتقديس الإسماعيلية للحاكم حيث لقبو المهدي بأمير المؤمنين وجعله رسول ونبي والإباضية لم يتقبلوا ذلك.[2]

وقام العبيديون بعدة إستراتجيات للقضاء على المذهب الإباضي في المدينة ونشر مذهبهم الشيعي فأول شيء حاربوهم من الناحية الفكرية يذكر الدرجيني في كتابه وذكر أنه (أبي عبد الله الشيعي) عند دخوله وجد صومعة مملوءة كتبا وهي المشتملة على ديوان تيهرت الذي يذكره عزابة فإنتقى منه ما إنتقى وأحرق الباقي ولم يبقى شيء من الديوان أثر أصلا.[3]

فقد حوت على ثلاثمائة ألف مجلد في مختلف الأنواع العلوم والفنون والآداب. وقد قام الشيعة بحرقها لتدمير كل أثر للفكر الإباضي المعادي لهم ولم يتركوا من تلك الكتب سوى المتعلقة بالرياضيات والفلك والهندسة والطب.[4] وأحرق بقية الكتب والآثار المذهبية، ومنها أمهات كتب المذهب، ودواوينه ففقدت أغلب هذه الأصول وغدا الاباضيون بدون مصادر مذهبهم لأول مرة.

ولم تشر النصوص لسياسة حرق الكتب من طرف العبيديين سواء في رقادة أو القيروان أو في سجلماسة إلا في تيهرت وهنا تتجلى سياسة الترهيب، والكراهية ضد الإباضية.[5] وبعد إستيلاء الشيعة عليها وعلى أموالها وبحكم أن عبيدة الله الشيعي كان من كبار العلماء والفلاسفة إنبهر بالمعصومة وكثرة كتبها وأغلبها فيما يخص الشريعة الإسلامية وتاريخ الدولة الرستمية، فأدرك أن بقاء هذه المكتبة يشكل خطر على دولته ولا يمكن القضاء على المذهب الإباضي في المدينة وعروقه حية.[6]

وهذه الطوائف بحكم تعايشها مع إباضية تيهرت وتأثرها من إستبدادهم، وتعصبهم وعنادهم التي كانت تظهر في حلقات الجدل والمناظرة بين رجال الطوائف هي التي قادت المعركة ضد أثارهم الأدبية والمذهبية.[7]

1- موسى لقبال، المرجع السابق، ص 413.

2- فاطمة بلهواري، المرجع السابق، ص 28.

3- الدرجيني، المصدر سابق، ص 94 -95.

4- الحريري، المرجع السابق، ص 238.

5- موسى لقبال، مرجع سابق، ص345 -346.

6- محمد علي الدبوز، المرجع السابق، ص 534-535.

7- موسى لقبال، المرجع السابق، ص 347.

لكن عبيد الله الشيعي بحنكته لم يحرقها كلها بل أراد الإنتفاع بعبقرية الدولة الرستمية فهو كانت له طموح إنشاء أكبر دولة. وبقيت تيهرت أياما و الدخان يجللها من المعصومة.[1]

وأيضا من أساليبهم أنهم إنتهجو سياسة الترهيب وتمثل في إكراه أهل المغرب على إعتناق المذهب الإسماعيلي الباطني.[2] ومحاربة المذهب الإباضي الجمهوري بكل الوسائل فبعد دخولهم لتيهرت قضائهم على الدولة الرستمية قاموا بتشريد رؤسائها و قتلهم.[3]

وأيضا قامو بإرسال دعاتهم إلى القبائل والأهالي ومن بينهم تيهرت وكانت عبارة عن هيئة خاصة يترأسها داعي الدعاة و يساعده إثني عشر نقيبا في نشر تعاليم الدعوة وكان يشترط فيهم معرفة خبايا عقائد المذاهب والفرق وهذا لكي يتسنى لهم المناظرة معهم.[4]

ولكن دعاة الشعيين لم يكونوا كذلك، وكان معظمهم منحرفين، كما إعترف الخليفة الفاطمي المعز دين الله أن بعض دعاة المهدي كانوا لا يعرفون شيئاً من ظاهر دين الله حلال أو حرام. فدخلوا العقيدة الإسماعيلية الأساطير والخرافات.[5] فمثلا ابن سليمان المكناسي الذي أظهر التشريق بجانب تيهرت بصورته المتطرفة والإباحية فإفتتن في السكان وأنتهك الحرمات والأعراض حتى حدث غليان وفتنة بين أهالي تيهرت وثاروا ضده وكان هناك حملة لطرد الدعاة المنحرفين.[6]

1- محمد علي الدبوز، المرجع السابق، ص 535.

2- المذهب الباطني: الباطنية من يتعقدون أن لكل نص باطنا يدركه الخاصة من الناس بطريقة التأويل، وهؤلاء يسقط عنهم التكليف بخلاف الجهال، ولقبوا بالسبعية لقولهم أن أدوار الإمامة سبعة وأعلاها زحل، وعرفوا بالتعليمية لأن مذهبهم يرتكز على التعليم وإستخدام العقل، كما عرفوا بالترابية نسبة لأبي تراب وهو لقب شرفي أطلقه الرسول صلى الله عليه وسلم تكريما لعلي وأيضا بالطالبين نسبة لأبي طالب. راجع: الحسن بن موسى النوبختي، فرق الشيعة، تح وتق: هبة الدين الشهرستاني، منشورات الرضا، بيروت، 2012، ط1، **ص 57-58.**

3- محمد علي الدبوز، المرجع السابق، ص 535.

4- فاطمة بلهواري، المرجع السابق، ص10 -11.

5- المرجع نفسه، ص31.

6- موسى لقبال، المرجع السابق، ص 425.

فعند مخالفة أهل نفوسة لعبيدة الله تم إرسال لهم الداعي علي إبن أبي سليمان فقتلوا أهل نفوسة كثيرا من أصحابه وطردوه ، ثم زوده عبيدة الله بجيوش في سنة 311 هـ وتفوق عليهم و دخل حصنهم وقتل الرجال وسبى الذرية.[1]

وقد قام العبديون أيضا بقتل العلماء الإباضيين وتهجيرهم ورؤساء الجمهوريين والعائلة الحاكمة الرستمية وإيجلائهم عن تيهرت ونواحيها حيث نواحيها حيث تتبع العبيديون رؤساء الجمهوريون في تيهرت بقتلهم وهتك حرماتهم فهرب أغلبهم إلى جبال الأوراس المنيعة وجبال بني راشد "جبال عمورة" وإنتقلوا من مكان إلى آخر حيث يعرفون أن العبيديين لا يحتلونه ولا يطمعون فيه.[2]

ومن هنا يتبين لنا أن تيهرت كانت في معارضة على المذهب الشيعي ولم تقتل الضربة التي أصابت الإباضيين في تيهرت وبث الروح في دولتهم فنظموا معارضتهم من داخل تيهرت.[3]

ولم يخلو هذا التغير المذهبي في المدينة من ردود فعل من طرف الإباضيين حيث كثرت ثوراتهم ضد الفاطميين ثم إن سقوط مدينة تيهرت خلقت عداء شديد بين بربر كتامة وبدو زناتة والبرانس وخلقت مقاومة شديدة للفاطميين.

وذكر إبن عذارى أنهم إنتصرو على الوالي الشيعة وقتلوا أكثر أصحابه وكانوا في ألف فارس "لكن عززت الدولة العبيدية موقفها وأرسلت إليهم أعدادا عظيمة و خلق لا يحصى كثرة تمكن من إنزال هزيمة قاسية بالإباضية و قتل الألوف من سكانها.[4]

ويظهر أن فشل حركة أبي يزيد هي التي قضت على أمالهم و وضعت حدا لوجودهم في المناطق العمرانية فهاجرو إلى أماكن منعزلة في الصحراء.[5] وأدت هذه الهزيمة إلى هجرة جماعات كبيرة من الإباضية فإستقرو في ورجلان، فورثت ورجلان الحضارة الرستمية وأنشؤا مدينة سدراتة[6] وعدة حروب ضد الفاطميين سنتحدث عليها بتفصيل في مطلبنا التالي.

1- سليمان بن عبد الله الباروني باشا، المصدر السابق، ص 350.

2- محمد علي الدبوز، المرجع السابق، ص 535-536.

3- أحمد إلياس حسين، الإباضية في المغرب العربي، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، 1992م، ط1، ص 48.

4- المرجع نفسه.

5- موسى لقبال، المرجع السابق، ص348.

6- أحمد إلياس حسين، المرجع السابق، ص 48.

المطلب الثالث : طرد الإباضيين من المدينة تيهرت:

بعد دخول العبديين إلى تيهرت في سنة 296 هـ، كان يجب عليهم فرض هيمنتهم عليها وجعلوها قاعدة للمغرب الأوسط،[1] فبعد دخول أبي عبد الله إليها إنتهبها وإنتهك حرمتها وطرد كثير من أهلها ثم قتل العائلة الرستمية ومن معهم فقتل أهل الملك وأهل الحرث والنسل وذلك في شوال سنة 296 هـ وانت به الدولة الرستمية.[2] وبعد ذلك فرت أوس إبنة الإمام يوسف و التي وعدت الورجلاني بالزواج لو يثأر لها من أبي اليقظان الذي قتل أبوها حيث فرت خوفا منه أن يطلبها للزواج كما وعدته، وبحث عنها عند دخوله لكنه لم يقف لها أثر ومن هنا بدأت سياسة الهروب و طرد للإباضيين.[3]

وذكر أبو زكريا أن العلامة يعقوب إبن أفلح لما بلغه دخول الشيعة إلى العبديين خرج من تيهرت متوجها إلى ورجلان في خيل مع أصحابه وأقاربه وأهله قاصدا مدينة ورجلان واستطاع أن يفر منها رغم إرسال الحجاني عسكرا في أثره.[4]

وبعد دخول الشيعة إلى تيهرت عانى الإباضيين الأمرين في المدينة لأنهم اعتبروهم عدو لهم ووجب عليهم القضاء على كل ما ينتسب إلى المذهب الإباضي.[5]

فبدخولهم توالت على المدينة المصائب وتتابعت عليها النوائب وتراكم على أهلها البلاء وامتحنوا بالزلازل وكثرت الحروب و القتال وتراجعت كؤوس الذل والوباء.[6] وعان الإباضيون في المدينة فمنهم من فرض عليهم اعتناق المذهب الشيعي على كره فكانت السلطة العبيدية تجبر الناس على العمل بمذهبها فتشيع كثير من أهل تيهرت عن طريق التهديد.[7] وتحت ضغط هؤلاء الحكام وقسوتهم تفرقت جموع منهم من المدينة وشردوا لجميع الجهات، فكان إتجاههم للجنوب الشرقي أكثر من أي اتجاهات أخرى.

1- مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص 141.

2- الدرجيني، المصدر السابق، ص 94.

3- سليمان بن عبد الله الباروني باشا، المصدر السابق، 345.

4- أبي زكرياء، المصدر السابق، ص188-189.

5- علي يحي معمر، المرجع السابق، ص 186.

6- سليمان بن عبد الله الباروني باشا، المصدر السابق، ص 348.

7- مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص 139.

وعلى كل حال فالإباضيون طوردوت في جميع أنحاء المغرب وضيق عليهم تارة من الحكام المستبدين وتارة من زعماء القبائل الأقوياء المستغلين، وأحيانا قليلة من متعصبين جامدين.[1] ونظرا للمطاردة التي عرفوها الإباضيون ذكر المؤرخون أن لبعض الأحياء مسجدا متنقلا من هذا النوع يحملونه على إثني عشرا بعيرا.[2] والملاحظ أن مصادر الإباضية بعد إستيلاء الشيعة على تيهرت لا تورد المناطق التي فرّ إليها الإباضية، ولا مصير الناجين الذين فرّوا (عدا ما أوردته عن يعقوب وأهله) وتتناول فقط جملة الإفترقات والثورات، إذ حدثت إفتراقات في صفوف الإباضية.[3]

وأيضا عرفت المدينة كثرة الحروب والفتن التي أدت إلى تدهور الحالة للإباضيين فكثرت الحروب بين الشيعة وأعداءهم تارة من ثائرين عليها والرافضين لها وخاصة الحروب مع قبائل زناتة الذين عرفوا بالمعارضة الشديدة للفاطميين.[4]

حيث غدا النزاع من أجلها طابع الحياة السياسية حتى بعد رحيل الفاطميين لمصر، وكان يتصدر النزاع من البرانس وكتامة و أحلافها ثم صنهاجة، أما من جانب البتر فتصدرت النزاع زناتة بفرعيها الكبيرين مفراوة وبني يفرن كما أسهمت مكناسة في عصر سيادة أبي العافية بدور كبير في حركة الصراع العنيف من أجل الظفر بميزات موقع تيهرت، خدمة للأمويين في قرطبة.[5] فيذكر أنه في زمن المهدي عند إستيلاءه على المنطقة وبعد قتله لأبي عبد الله الشيعي وأخوه أبي العباس، أدى إلى خلاف عليه أهل تيهرت فغزاها و فتحها وقتل أهل الخلاف واللذين نشروا البلبلة.[6] ففي أيام الشيعة وليها أبو حميد الدواس اللهيصي ولاه أبو عبيدة الله حين خروجه منها إلى سلجماسة.[7]

1- علي يحي معمر، المرجع السابق ،ص 194-195.

2- المرجع نفسه، ص 196.

3- أبو زكريا، المصدر السابق، ص 163.

4- مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص 90.

5- موسى لقبال، المرجع السابق، ص 343.

6- إبن الأثير، الكامل في، المصدر السابق، ص 1124

7- إبن العذارى، البيان، المصدر السابق، ص 289.

ثم خالف على أبي عبد الله الشيعي محمد بن خزر بن صولات الزناتي.[1] وأقبل إلى مدينة تيهرت وطمع في أخذها وإخراج دواس بن صولات منها، وكان معه قوم من أهل تيهرت يعرفون ببني دبوس[2] وكادت المؤمراة تنجح لو لم تتسرب الأخبار إلى والي المدينة، فتصرف دواس بسرعة وتحفظ على بني دلوس في حصن برفجانة فلما زحف إبن خزر فوجد بني دلوس مراقبين وبعيدين عن ميدان معركة فلم يفلح في افتتاحها بسبب مقاومة السكان الذين كاتبوا دواسا ولما سمع سكان برفجانة بتآمر بني دلوس عليهم مع إبن خزر فإنتقموا منه وقتالوهم.[3]

ثم رجعت قبيلة زناتة إلى تيهرت بقيادة ابن الخزر وخاصرو دواس أبن صولات فيها،[4] فأرسل المهدي لنجدته ولتأديب إبن خزر حملة كتامية بقيادة شيخ المشائخ فأنقذ دواس وهزم زناتة وقتل الكثير منها.[5] غير أن زناتة لم تكف عن معارضتها للفاطميين، وفي بداية 299 هـ حاصرت زناتة بقيادة محمد إبن الخزر المدينة وألجأت دوسا إلى الفرار مرة أخرى و حاولت قتله[6] وقاتلوا أكثر أصحابه وكانوا ألف فارس، لكن عززت الدولة العبيدية موقفها وأرسلت إليهم أعداد عظيمة وخلق لا يحصى كثرة[7] وحارب أهلها لمدة ثلاث أيام تمكن ودخلت العساكر.[8]

1- إبن الخزر: ذكر أنه كان رفيق أبي القاسم يزيد بن مخلد و كان ابو القاسم أسن منه، وكان مسكنهما حامة أخد علم الأصول على يد سحنون، أما اللغة والإعراب وغير ذلك عن سليمان بن زروق النفوسي، وكانت معيشته من قوت يومه وكانوا يتعاونون على طلب العلم حتى بلغ من علم مبلغا عظيما فعقدا الحلقة ويأتيهما من أهل الدعوة من كانت له رغبة والعلم والأدب وسير الصالحين، ويتعلمون عندهما حتى إشتهر وبلغ ذكرهما. أبي زكرياء، المصدر السابق، ص 205-206، وأيضا: الدرجيني، المصدر السابق، ص 119-120.

2- سليمان بن عبد الله الباروني باشا، المصدر السابق، ص 238-239.

3- موسى لقبال، المرجع السابق، ص 350.

4- سليمان بن عبد الله الباروني باشا، المصدر السابق، ص 349.

5- موسى لقبال، المرجع السابق، ص 351.

6- سليمان بن عبد الله الباروني باشا، المصدر السابق، ص 349.

7- موسى لقبال، المرجع السابق، ص 49.

8- سليمان بن عبد الله الباروني باشا، المصدر السابق، ص 349.

وتمكنت من إلحاق هزيمة قاسية بالإباضية بالمدينة وقتل ألوف من سكانها وأدت هذه الهزيمة إلى هجرة جماعات كبيرة من الإباضية جنوبا واستقروا في ورجلان بعيدا عن قبضة الشيعة.[1]

وبعدها أحرقت النار أسواقها في شوال 305 هـ.[2] وفي سنة 310 هـ قدم مصالة إلى مهدية على عبيدة الله ثم صرفه إلى تيهرت، فخرج إليه في شعبان، وبعدها خالفت أهل نفوسة لعبيدة الله ثم أرسل إليهم الداعي علي إبن أبي سليمان فقتلوا كثيرا من أصحابه وطردوه، ثم زوده عبيدة الله بجيوش، وفي سنة 311 تفوق عليهم و دخل حصنهم وقتل الرجال وسبى الذرية.[3]

وفي سنة 312 هـ خرج مصالة على رأس قوات كثيرة من تيهرت إلى زناتة فسبى وقتل دون أن يجد مقاومة من إبن الخزر الذي تحاشا الإصطدام وبقي يراقب، وعندما بلغه أنه أصبح في مركز ضعيف بسبب بقاء جنود قليل معه حيث ذهب معظمهم إلى أعماق زناتة، إغتنم ابن خزر هذه ثغرة و قتل مصالة في معركة ضاربة وهزم أصحابه وذلك يوم الجمعة لعشر بقين من شعبان.[4]

وفي سنة 314 هـ زحف إبن خزر إلى تيهرت و حاربها وإنهزم عنها.[5] وتشير المصادر أن مقاومة السكان الموالين للدولة الفاطمية و قرب وصول الحملة الفاطمية الموجهة نجدة لوالي تيهرت هي التي اضطرته للإنسحاب.[6] وأخرج عبيدة الله في أثره موسى إبن محمد الكتامي، فلما صار في بطنة دخل محمد إبن خزر الصحراء وأبقى أخاه مع وجوه رجاله في واد مطماطة، فدارت بينه وبين جند الشيعة حرب عظيمة كانت الغلبة لإبن الخزر.[7] ثم أخرج عبيدة الله حملة جديدة بقيادة إسحاق إبن خليفة للرد و أيضا لتأديب قبيلة لماية وما جاورها بسبب معارضتها للفاطميين وآستمدوا بإبن الخزر، لنه هذه الحملة فشلت بسبب تعند القبائل وتولي عبد الله إبن خزر قيادتهم.[8]

1- أحمد إلياس حسين، المرجع السابق، ص ....

2- مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص 90.

3- سليمان بن عبد الله الباروني باشا، المصدر السابق، ص 350.

4- موسى لقبال، المرجع السابق، ص 354.

5- سليمان بن عبد الله الباروني باشا، المصدر السابق، ص 350.

6- موسى لقبال، المرجع السابق ص 355.

7- سليمان بن عبد الله الباروني باشا، المصدر السابق، ص 350.

8- إبن العذارى، المصدر السابق، ص 269.

وبهد أن شعر الخليفة الفاطمي بسيطرة محمد إبن خزر على الوضع السياسي في الزاب وتيهرت ومعارضة القبائل له، أرسل له حملة ضخمة بقيادة إبنه و ولي عهده أبو القاسم وتوغلت في عدة قواعد وشهدت ظروف طبيعية صعبة وعدم مقاومة قبائل هوارة ولماية، وأستقر ابو القاسم في حصن تامغلت مدة شهرين في موجهة ابن خزر، ثم ترك حرب زناتة ورجع إلي مهدية. ولم تغير هذه الحملة ميزان القوى الذي بقي لصالح ابن خزر مطلق الحرية ضد تيهرت والموالين للفاطميين.[1]

وبقيت الأحوال في تيهرت مضطربة وخرجت السيطرة عن القبائل، فبعد أن توفي يصل ابن محبوس عينوا مكانه ابن مصالة إبن محبوس دون إستشارة المهدى، فاعتبرهم عصاة وأرسل لهم حملة تأدبية، لكن الوضع إستمر في عهد والي أبي مالك بغمراسن بسبب شغب سكانها ثم أخرجوه وعينوا أبي القاسم الأحدب الذي قتل على يد ميسور الفتى لتعاونه مع عناصر الشغب في المدينة.[2]

وبعد الهدوء التي عرفته تيهرت في 324هـ تمكن حميد بن يصل بمغادرة سجنه في مهدية وطرد والي تيهرت آنذاك داوود ابن إبراهيم وفصلها عن السلطة الفاطمية وهذا بعد قومه المكناسيون منهم وطرد بعد ذلك من طرف الخليفة الفاطمي.[3]

وبعد تولى ميسور الفتى ولاية تيهرت ثم ثاروا عليه أهلها وإستدعوا ابن الخزر فقدم مع إبنه ومن معه زناتة ثم خدعوا ميسورا ومن معه حيث دخلوا المدينة بعدما أظهروا أنهم مناصريه ثم دخلوا المدينة وتغلب عليهم بعد ذلك محمد اليغرني إلى أن قدم جوهر قائد الشيعة سنة 349هـ.[4] ثم قادوا ثورة ضد المعز بعد قتله لأبي القاسم يزيد إبن مخلد الذي كانت له مكانة خاصة عند الإباضيين وعند الخليفة الفاطمي، فخاف المعز أن يعظم شأنه فأمر والي الحامة بقتله فإجتمع أبي خزر وعدد من مشائخ وعملوا على مراسلة أهل الدعوة للإنتقام.[5]

1- موسى لقبال، المرجع السابق، ص 355-356.

2- إبن العذارى، المصدر السابق، ص 289.

3- موسى لقبال، المرجع السابق، ص 258-259.

4- إبن العذراى، المصدر السابق، ص 289.

5- أبي زكرياء، المصدر السابق، ص 202.

وطلب منهم المعز التريث لكن العامة أبت إلا الثأر بقيادة أبي الخزر ولما إجتمعت عليه قوة زناتة لم ينتظر الإمداد وتوجه لباغاي.[1] وحاصرها سنة 358هـ ودار بينهما قتال، وأنهزم أبو خزر بعد خيانة فخذ من زناتة ليفر الى جبل تلتماجرت ثم توجه لجبل نفوسة متنكرا في زي راعي إبل.[2]

سئم أهالي تيهرت من الحروب وسياسة الاضطهاد ضدهم بعد أن تبدلتها أيدي الشيعة وغيرهم فاضمحلت أثار العدل وساد فيها الجهل وجلت منها طبقات الراقية التي كانت تعمرها وكسفتها الذلة.[3]

وقد صيرها الشيعة ومن جاء بعدهم من دول المغرب الصنهاجيون والحماديون والموحدون، فكانوا يولون عليها عمالهم وكانت فتنة إبن غانية هي القطرة التي أفاضت الكأس حيث في القرن السابع هجري آخر عهد للموحدين حيث كان يوالي عليها الغارات.[4]

فيمكن القول أن تيهرت بعد سقوط الدولة الرستمية أصبحت نقطة عراك بين الشيعة وزناتة في كل مرة تميل الغلبة لجهة فأخذ عمرانها في تراجع ثم حدثت فتنة إبن غانية الميروقي وتكرر دخول لتيهرت فآحتمل أهلها وتفرقوا في البلاد و ذلك في سنة 620 هـ الذي كان آخر عهد لعمرانها.[5]

وذكر إبن خلدون عن إبن الغانية "فإرتحل إلى تيهرت وصبحه إبن غانية فإنفض معسكره و فرت زناتة إلى حصن بها و قتل السيد أبو عمران، وإستباحت تيهرت فكان آخر عهد لعمرانها و إمتلأت أيديهم من الغنائم والسبي.[6]

وتيهرت القديمة هي التي خربها الخير إبن محمد بن خزرج الزناتي،[7] وتيهرت بعدها بقيت خالية وأرضها اليوم تحرث و لم يبقى منها إلا أنقاض وبعض سورها والأماكن تشقى وتسعد[8]

1- باغاي أو (باغاية): يقول البكري هي مقربة لجبل الأوراس (المغرب ص 50) وجاء في معجم الأعلام الإباضية (ج1ص322) بأنها تقع حاليا بالمشرق الجزائري.

2- الدرجيني، المصدر السابق، ص 123-130.

3- سليمان بن عبد الله الباروني باشا، المصدر السابق، ص 351.

4- محمد علي الدبوز، المرجع السابق، ص 537.

5- مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص 90.

6- إبن خلدون، المصدر السابق، ج 6 ص 385

7- إبن العذارى، المصدر السابق،ص 281.

8- مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص 90.

وها هي اليوم أطلال وأثار تحت الأرض التي تكونت عليها ولازال الكثير من رسوماتها وأطلالها مبثوثا في تلك النواحي وهي دليل على عظمتها.[1]

وقيل بعض الشعراء عند خرابها :

خيلي عوجا بالرسوم و سلما

على طلل أقوى وأصبح أغبرا

ألما على رسم (بتيهرت) داثر

عفته الغوادي الرائحات فأفرا

كأن لم تكن (بتيهرت) دار لمعشر

فدمرها المقدور فيمن تدمرا.[2]

1- محمد علي الدبوز، المرجع السابق، ص 537.

2- سليمان بن عبد الله الباروني باشا، المصدر السابق، ص 253-254.

المبحث الثالث: انهيار حكم الاباضيين بتيهرت وتداعياته على جماعات الاباضية.

المطلب الأول: تشتت جماعات الإباضية وانعزالها في جغرافية محددة.

المطلب الثاني: تحول الإباضية لمجتمع مصغر نظام مجلس العزابة مثالا.

المبحث الثالث: انهيار حكم الاباضيين بتيهرت وتداعياته على جماعات الاباضية.

المطلب الأول: تشتت الجماعات الإباضية وانعزالها في جغرافية محددة:

بعد إستيلاء العبيديين على تيهرت وإحكام سيطرتهم عليها -كما وضحنا سابقا- عمدوا إلى تشديد الخناق على الجماعات الإباضية، وهو ما تسبب في تشتتهم وانعزالهم، فتوجهوا نحو مناطق الصحراء نتيجة للظروف السياسية التي عاشوها في تيهرت بعد سقوطها، وتحت ضغط الفاطميين، فمن المناطق التي فروا إليها والتي لا تزال عامرة بهم إلى يومنا هذا نجد وادي ميزاب و وارجلان وجزيرة جربة وقسطيلية بحيث لم تكن هذه المناطق في متناول الفاطميين وهو ما دفعهم إلى توجه إليها وهي:

أ-/ وادي ميزاب: ما تميزت به هذه المنطقة عن باقي المناطق أنها كانت أكثر أمنا فكلما تأزمت الأمور بتيهرت يفر إليها الإباضيون.[1] ولما سقطت الدولة الرستمية الإباضية جاء أحفاد الرستميين تحت قيادة الإمام يعقوب إلى جنوب مدينة "وارجلان" الغربي سنة 365هـ وأسسوا منازل وضياع لهم.[2]

وقد ساعدهم على ذلك بعدهم عن المعارك الشمالية[3] بعد مطاردة عنيفة للإباضيون ودائمة من الدولة العبيدية.[4] وتقع مدينة وادي ميزاب جنوب شمال الصحراء الكبرى، في ناحية تسمى الشبكة وهي منطقة جميلة تتخللها أودية، وميزاب تبعد عن الجزائر بثلاث مائة وعشرين ميلا.[5]

ويقول المؤرخون عن أصول سكان وادي ميزاب أنهم ليسوا كلهم من قبائل نفوسة، بل أغلبيتهم من نفوسة، وفيهم كثير من العرب الأقحاح وقليل من قبائل عربية أخرى.[6] فيما يقول الدبوز أن هذه نواحي كانت مجموعة من جبال متشابكة شمال الصحراء تتخللها أودية كبيرة كوادي ميزاب وتنتهي في الشمال "وارجلان".[7] أما كلمة "ميزاب" فتكون إسما لأحد الأودية الثلاثة كما يعتقد الناس.[8]

1- أبي زكرياء، المصدر السابق، ص 377.

2- علي يحي عمر، المرجع السابق، ص 399.

3- المرجع نفسه، ص 355.

4- بكير بن سعيد أعوشن، وادي ميزاب في ضل الحضارة الإسلامية، المطبعة العربية، د.ت، ص 57.

5- محمد دبوز، المرجع السابق، ص 149.

6- بكير بن سعيد أعوشن، المرجع السابق، ص 61.

7- علي يحي عمر، المرجع السابق، ص 355.

8- المرجع نفسه، ص 356.

أما تسمية اليوم من "بني مصعب" ل "بني ميزاب" إعتبارا أن ميزاب إسم لأحد الأودية الثلاثة وهي تسمية تحاول أن تقصر أولئك القوم على بعض أجزاء باديتهم.[1] حيث تعتبر "ميزاب" مدينة عريقة على حد تعبير محمد علي الدبوز: "أما الميزابيون فمتحضرون وأبناء أكبر دولة إسلامية نشأت في المغرب الأوسط (تيهرت) إختلطوا فيها بالشعوب الإسلامية سيما العرب".[2] حيث شهد وادي ميزاب هجرة كبيرة للإباضيين من سدراتة[3] و"وارجلان" و وادي "أريغ" والتحقوا بوادي ميزاب لإستقرار مذهبهم في هذا الوادي،[4] كما يعتبر العلامة أبا عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي مؤسس نضام الحلقة في أريغ له الفضل الأول في نشر أصول المذهب الإباضي في ميزاب.[5]

وبقي الاباضيون على ذلك الحال إلى أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس، حين كان أبوا بكر يتنقل ما بين وادي أريغ و وارجلان بمجموعة هائلة من طلبة العلم،[6] وهو الذي اتخذ جنوب الشرق من بلاد المغرب منبرا لدعوته لا سيما وادي ميزاب، لأنه أدرك أن إمامة الظهور لا يمكن تحقيقها في هذه الحال، لأن الإباضية لا قوة لهم سياسيا في هذا الأمر .[7] فيما يقول الدرجيني عنه: "ما بلغنا أن أبا عبد الله كان يخرج للحلقة في أوان الربيع إلى نواحي بني مصعب بمآرب منها أنه كان يطلب بذالك راحة خاطره وخواطر تلاميذه".[8] ويقول أبي زكرياء في هذا الصدد أن تنقلاته قادته إلى أماكن عدة فأينما حل عقد مجالس والحلقات.[9] فمن جملة أسباب تنقلات أبوا عبد الله محمد بن بكر سعيه لتكوين رجال عالمين بأنفسهم، وذلك بتعويدهم على النفس، وكثرة تنقلات خير دليل على ذالك خاصة وأنهم يقطعون صحاري مترامية الأطراف.[10]

1- علي يحي عمر، المرجع السابق، ص 303.

2- بكير بن سعيد أعوشن، المرجع السابق، ص 61.

3- سدراتة: بطن من بطون لواتة البربرية موجودة حول بسكرة، وإباضية المذهب. البكري، المصدر السابق، ص 55.

4- بكير بن سعيد أعوشن، المرجع السابق، ص 63.

5- المرجع نفسه.

6- علي يحي عمر، المرجع السابق، ص 301.

7- بكير بن سعيد أعوشن، المرجع السابق، ص 90.

8- الدرجيني، المصدر السابق، ص 183.

9- أبي زكرياء، المصدر السابق، ص 331.

10- الجعبري فرحات، نضام عزابة عند الإباضية الوهبية، المطبعة القمرية، تونس، 1975، ص 34.

ومن المناطق التي تنقل إليها وادي بني مصعب،[1] كما تورد المصادر أنه تنقل إلى قسطيلية.[2] وفي طريقه إلى تمولست،[3] ثم توجه إلى لماية وعقد بها أيضا مجلسا إذ إجتمع عليه شيوخ، وصاروا يسألونه[4] وبعد توجه إلى جربة، مكث بها ما مكث عند بني يهراسن كما يقول أبوا زكرياء.[5] ثم ذهب إلى تباجلت (بالجنوب تونسي) وبعدها عاد إلى أريغ، ثم زار إفريقية.[6] وعند وصوله إلى سلام ليك قال: "ما وجدنا في وجهنا ذالك، في حي أو منزل إلا وجدنا من يستفاد منه خيرا أو علما" كما تنقل للساحل.[7] ومن الأسباب التي دفعت الإباضية إلى وادي ميزاب وإنتقالهم من أريغ و وارجلان ترجع لتوفر عامل الأمن.[8]

مع أوائل القرن الخامس توالى الجفاف على منطقة "وارجلان" فضاقت الحياة بالناس لا سيما أصحاب الماشية، وكان الإمام أبوا عبد لله من بينهم فلم يجدوا منتجعا لإنقاذ ما شيتهم غير بادية بني مصعب.[9] حيث يقول أبوا اليقضان إبراهيم بن عيسى «بعد فترة حوالي 50 عاما من حلول فلول بني رستم ب"وارجلان" وقعت مجاعة كبيرة في البلاد أكلت الحرث والنسل، وأحرقت الحدائق والبساتين، حتى قيل إنها غورت أكثر من ألف عين. وكانت أخبار أبي عبد لله مع بني مصعب تصل إلى أهل سدراتة و وارجلان تحدثهم عن نجاح الرحلة فإلتحقوا بهم ووجد أولئك المهاجرون أن المصعبيين قد تأثروا بدروس إبن عبد الله فلانت طباعهم وإتسعت أخلاقهم وإستقرت أخلاقهم وإستقرت حياتهم كما كانت في سدراتة و وارجلان و وادي ريغ.[10]

1- بكير بن سعيد أعوشن، المرجع السابق، ص 90 وما بعدها.

2- أبي زكرياء، المصدر السابق، ص 255.

3- المصدر نفسه، ص 256.

4- تمولست: تقع بالجنوب التونسي .

5- الدرجيني، المصدر السابق، ص258،257.

6- أبي زكرياء، المصدر السابق، 255.

7- المصدر نفسه، ص328.

8- بكير بن سعيد أعوشن، المرجع السابق، ص 98.

9- علي يحي عمر، المرجع السابق، ص 354.

10- علي يحي عمر، المرجع السابق، ص 356.

فمن هذا الحديث نستطيع أن نستكشف العدد الهائل من القبائل اللذين ينتقلون معه لأجل ذالك كان يعين قائدا على رأس كل قبيلة، وكل هؤلاء في طريقهم يسعون في الجد والإجتهاد.[1] وبدأوا يشتغلون بالزراعة ويبنون البيوت في وئام وتعاون، وتسامع الإباضية في كل مكان بهذا التغيير عند "بني مصعب" وترحيبهم بالإمام وتأثير الإمام فيهم فإشتدت الهجرة إليهم من سدراتة ووادي أريغ،[2] ومن أي مكان يجد فيه الإباضية ضغط سياسيا أو ضيق عنصري،[3] وكانت الهجرة غالبا ما تتم من وارجلان لشهرتها عند الإباضية في ذالك الحين ومنها ينتقلون إلى إخوانهم في "بني مصعب" حيث يقول أبوا زكرياء: «قال طلعنا مع أبي عبد الله إلى وارجلان زائرين في جماعة كثيرة وفينا قبائل أهل دعوة بأجمالهم، حتى جعل ببعض الطريق أبوا عبد الله على كل قبيلة منهم عريفا يرعاهم ويتفقد أمورهم خوفا مما يحدثون في وارجلان».[4]

وبعد أن كان الإباضيون شعبا يعيش عيشة البداوة ينتقل بين المراعي صار شعبا زراعيا مستقرا بين حياة كريمة في مدن كبيرة على ضوء هذه نظرية الموضوعية وتاريخية فإن المدرسة الإباضية قاومت مظاهر الظلم وتعسف والاستبداد فلم ييأسوا ومن هنا نزح الإباضيون من شمال الجزائر وغيرها نحو وادي ميزاب.[5] وبعد كل هذا فأحسب أنه من الخطأ أن نقول أن الميزابيين هم بقايا رستميين هاجروا من تيهرت إلى سدراتة ثم إلى الوادي حيث يتضح لنا أن إباضية تيهرت عندما احتلها أبوا عبد لله الحجاني وإرتكب فيها الأفاعيل فر من نجا منهم، دون توجيه من أحد أو قيادة أو تنظيم،[6] ومعنى هذا أن الإباضية اللذين نجوا من القتل في تاهرت قد تفرقوا إلى جهات مختلفة في مجموعات كثيرة بعد أو قبل يعقوب بن أفلح.[7]

وبعضهم نزل مدنا أخرى، ومن بقى بتيهرت من الرستميين هاجروا تحت ضغط العوامل السياسية وإقتصادية في أزمنة متفاوتة إلى بني مصعب فكانوا ضمن عناصر ذابت وإنصهرت فيهم.[8]

1- أبي زكرياء، المصدر السابق، ص 322.

2- علي يحي عمر، المرجع السابق، ص 306.

3- المرجع نفسه.

4- أبي زكرياء، المصدر السابق، ص 269 وما بعدها.

5- علي يحي عمر، المرجع السابق، ص 356.

6- بكير بن سعيد أعوشن، المرجع السابق، ص 58.

7- علي يحي عمر، المرجع السابق، ص 356.

8- علي يحي عمر، المرجع السابق، ص 359.

حيث يقول محمد علي الدبوز في هذا الصدد «كانت هذه النواحي الميزابية وطنا لقوم من زناتة قبيلة البربرية الزناتيون منبثون في مكان المدن الخمس، قد نصبوا فيه خيامهم وبنوا في نواحيه بعض القرى بسيطة يسكنونها ومن تلك القرى "العطف"[1] التي لا تزال فيها آثارهم إلى اليوم، وكان هؤلاء الزناتيون على مذهب "المعتزلة" فإندمجوا في إخوانهم الميزابيين اللذين ها جروا إليهم، وإمتزجوا بهم وصاروا شعبا واحد مرتبط بينهم الدماء الممتزجة ودين الله القويم».[2]

-ب/ وارجلان: أنشئت هذه المدينة في القرن الرابع الهجري، وقد خطط هذه المدينة الأمير يعقوب بن الأفلح، ولم تمض سنوات طوال، على نشأتها حتى ضهرت فيها، حضارة راقية.[3] لقد كانت وارجلان في العصور الطويلة عاصمة الإباضية بكل الإعتبارات وهكذا فإن الإباضية قد نزحوا من شمال الجزائر إلى وارجلان التي كانت تابعة للرستميين وكان ضمن هؤلاء النازحين يعقوب بن الأفلح الذي طلبوا منه أن يكون إماما فرفض هذا الأمر ويقول الأستاذ أعزام في هذا الصدد: "بعد خراب البلاد تفرق الباقي من ساكنيها إلى وادي ملوية التي هي حدود بين "وارجلان" وبلاد مراكشية ولبعض سكن "وادي ميزاب" والبعض الآخر إلى وارجلان".[4]

و وارجلان هي "ورڤلة" يسكنها أخلاط من الإباضية والأعراب ورجال حبشان، والأصل فيها الأولون من قبائل زناتة ومزاتة وبني يفرن ومغراوة،[5] ومما تميزت به هذه المنطقة عن باقي المناطق أنها كانت أكثر أمنا فكلما تأزمت الأمور يفرون إليها بدءا بيعقوب بن لأفلح وقد إكتسبت هذه الميزة بفضل المشائخ والعلماء الوافدين.[6]

1- العطف: تعد المدينة الأولى التي سكنها الإباضية سنة 402هـ، 1012م ويعد الشيخ خليفة بن آبغور أول من رسم المدينة، انظر: بكير بن سعيد اعوشن، المرجع السابق، ص 66.

2- محمد علي الدبوز، المرجع السابق ص 159.

3- بكير بن سعيد أعوشن، المرجع السابق، ص58.

4- علي يحي عمر، المرجع السابق، ص 369-370.

5- المرجع نفسه، ص 320.

6- أبي زكرياء، المصدر السابق، ص 377.

ومن بين المشائخ الذين برزوا في تلك الفترة أبوا صالح جنون بن يمريان،[1] حيث كان مسؤولا في المكان الأول عن إزدهار الحركة العلمية وذلك لما له من نفوذ واسع حيث كرس نفسه وحياته لخدمة العلم والعلماء حيث عرض نفسه عن أبي نوح سعيد بن زنغيل،[2] يقاسمه في ماله مقابل بقائه ومكوثه بوارجلان لكنه أبى.وكان لأبي صالح مسجد يجتمع فيه أبوا نوح مع أهل وارجلان يسألونه وذلك قبل عودته إلى إفريقية.[3] وكانت جماعة أهل وارجلان تجتمع عند مسجد الشيخ جنون بن يمريان فمنهم المستفيد منه علما، ومنهم المتبرك بمشاهدته والمشارك فيما يعرض من لأمور لدنياه ودينه،[4] لكن بعد وفاة أبي صالح تغيرت الأوضاع بها، إذ رجع إليها أبوا نوح وجدها قد تغيرت فجمع وجوه وارجلان وقال لهم: «إني رأيت فيكم ثلاث خصال كلها غير مرضية أما الأولى فنكاح السر فيكم ظاهر، فإذا مر أحدكم برجل أو إمرأة مجتمعين في موضع التهمة قالا له: إنا قد تناكحنا، وثانية أن أحدكم يطلق عبيده لا يعبأ بهم ولا يأمرهم بأمره... وثالثة أنكم أضهرتم بينكم التفرق فطائفة منكم تقول مسجدنا ومسجدكم وبعضكم يقولون حصيرتنا وحصيرتكم.[5]

ولما تباطؤوا في الرد لم يبت ليلته هناك،[6] وبعد إستقرار الإباضية في وارجلان بدأت أفواج الإباضية تتوافد إليهم من نفوسة وجربة وأريغ وبدأ تناسل أجيالهم إلى يومنا هذا،[7] ولما غصت بلاد "وارجلان" و"أريغ" برجال الإباضية وأرادت أن تتنفس في معيشتها فيما جاورها، رأت جبال بني مصعب "وادي ميزاب" أحسن ملجأ لها وأمنع حصن لأجيالها القادمة، فتكاثرت الهجرة إليها بعد إنقراض ملك بني رستم في تيهرت، فتكونت بذالك "وارجلان".[8]

1- أبوا صالح جنون بن يمريان: شخصية قد جمعت بين العديد من الفضائل فقد كان رجلا عالما غزير العلم و ذكيا شهد له بتوحيد وارجلان. أنظر: علي يحي عمر، المرجع السابق، ص 117.

2- أبي سعيد بن زنغيل: علم من أعلام الإباضية ومن عظمائها. أنظر: علي يحي عمر، المرجع السابق، ص 124.

3- أبي زكرياء، المصدر السابق، ص 293.

4- الدرجيني، المصدر السابق، ص 144.

5- أبي زكرياء، المصدر السابق، ص 243.

6- المصدر نفسه، ص 334

7- علي يحي عمر، المرجع السابق، ص295.

8- توفيق المدني، المرجع السابق، ص 110.

الذين يمثلون الدعوة الإباضية في هذه الفترة فعلا وكاستمرار للدولة الرستمية هم الوهبية، وللظروف التي ذكرناها فهناك من الإباضية من اعتنق النكارية، فجزية جربة كان أهلها نكارا، وأول من قصدها من الوهبية هو أبوا مسور يسعى بن يوجين البراسني.[1]

تذكر المصادر أنه كان كريما، إذ يصنع الطعام للناس ويدعوهم إلى الوهبية، حتى لم يبقى أحدا على مذهب النكار، وربما هذا ليس بكرم بل سياسة، وبنى مسجدا يعرف ب: "بني يراسن" ومات ولم يتمه، فأتمه ابنه من بعده، وكان يحضر كل مجالس جربة، بحيث تتلمذ على يده عدد من تلامذة، وهو الذي كان يتكفل بإطعامهم[2] فيما يذكر الدرجيني عن أبي الخطاب وسيل بن سنتين الزواغي[3] أنه قام ببناء مسجد في منطقة تدعى تمزرت بجزيرة جربة،[4] ومن المشايخ الذين انتقلوا إلى جربة أبوا صالح بكر بن القاسم اليراسني[5] ومما ذكر عنه أنه كان في أول أمره بالبادية، فلما اشتدت الحال في البادية وكثرت زلازل واشتغلت نار الفتن انتقل إلى جربة.[6]

ويذكر بأنه كان يصلح بين ناس في الخصومات ولما علم بأن النكار إستولوا على جبل دمر،[7] توجه إليهم بالحلقة رغم ما كان يكابده من جوع وصعوبة مسالك الجبل لإحياء سيرة المسلمين.[8]

-ث/قسطيلية وإفريقية: منطقتين ظهرت أهميتهما انذاك بفضل مشائخهما وعلماء جلسوا فيما بعد للتعليم ولإفتاء، حيث كان لهما دورا كبيرا في إحتضان الإباضيين الفارين إليهما من بطش العبيديين، أولهم أبوا ربيع سليمان بن زرقون النفوسي[9] رفيق أبي يزيد مخلد بن كيداد في الدراسة بسلجماسة عند ما

1- الدرجيني، المصدر السابق، ص 157.

2- المصدر نفسه، ص 338.

3- ابي الخطاب وسيل بن سنتين الزواغي: وصفه الدرجيني ضمن علماء الطبقة السابعة (300هـ-350هـ) ويقول بأنه لم يحفظ له رواية، الدرجيني، المصدر السابق، ج2،ص 340.

4- المصدر نفسه، ص 114.

5- من علماء الطبقة الثامنة (350-400هـ) تتلمذ بإفريقية علي يد أبي الخزر يغلى بن زلتاف وهو إبن أبي مسور يسجى بن يوجين البراسني، وهو الذي أتم المسجد الكبير الذي بناه والده. انظر: الدرجيني، المصدر نفسه، ص 160.

6- المصدر نفسه، ص 357.

7- جبل دمر: يدعى جبل الحاوية حاليا بتونس، معجم أعلام الإباضية، ج1، المرجع السابق، ص327.

8- الوسياني، المصدر السابق، ص 38.

9- من نفوسة تابدويت مكان مولده ومسكنه. الدرجيني، المصدر السابق، ص 109.

ذهب للتعلم عند إبن جميعي[1] لكنه بقي على مذهب الوهبية ولم يتبع إبن كيداد، وعاد إلى قسطيلية لما مات إبن الجمعي، فمكث بها، وطفق الناس يسألونه عن فنون العلم وهو يجيب.

حتى أن هناك شيخ مؤدب وتذكر كتب السير بأنه كلما يراه يقول ،"أنا والله علمته" وكان كثير تنقل بين مناطق الإباضية للتعلم ومحاربة النكار، ومما يذكر عنه أنه سافر إلى إفريقية فوجدها رجعت إلى مذهب المطار، وبقي بها حتى رد هم إلى الوهابية وإتبع أثر المطار وطاردهم أينما كانوا، وتذكر المصادر المناضرات التي عقدها، وكانت الغلبة له.[2] ومن أبرز تلامذته والذين كان لهما دورا كبيرا في تاريخ الإباضية بعد سقوط الإمامة هما أبوا يزيد مخلد بن كيداد، وأبي الخور يغلى بن زلتاف، تتلمذ على يديه فتلقيا فنون من العلم ومسائل الفقه واللغة، حتى إشتهر ذكرهما وعلى أمرهما.[3] ومن لعلماء اللذين بقوا بإفريقية وقسطيلية أبوا نوح سعيد بن زنغيل عندما أبى الرحيل مع المعز .[4]

1- كل ما تم عنه أنه قدم من المشرق، وكان مطلعا على العلوم عديدة ولما مات أوصى بكتبه لأبي ربيع، أبي زكرياء، المصدر السابق، ص182.

2- الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص110.

3- أبي زكرياء، المصدر السابق، ص 184

4- الدرجيني، المرجع نفسه، ص 120.

المطلب الثاني: تحول الإباضية إلى مجتمع مصغر"نظام مجلس العزابة مثالا":

نجحت الدولة الفاطمية في القضاء على قوة المذهب الإباضي، فتشتت شمل أنصاره في مجاهل الصحراء وصفت الإمامة الرستمية بعد ماض طويل، فأصبحت طائفة الإباضية تعيش دون كيان سياسي او نظام جامع، و كان يمكن زوال المذهب لولا تمسك بعض المخلصين به في أماكن منعزلة.[1]

وكان الإباضيون في القبيلة يشكل تجمعا خاص، حيث تُشكل تلك القبيلة و من معها تجمعا يقيم و يرتحل بالإتفاق ، وهي بذلك تقيم لنفسها مجتمعا صغيرا تتيسر فيه عدة من أنواع النشاط في التربية والتعليم وإقامة الشعائر الدينية كما تتكون فيه يد قوية تحمي المجتمع من عدوان الغارات.

وقد كان الإباضية في المدن يعيشون مقاومة عنيفة و مطاردة دائما من الدولة العبيدية و هذه الأخيرة كانت تناقض كل التناقض المذهب الإباضي. والمدرسة الإباضية قاومت مظاهر الظلم والتعسف والإستبداد ولم ييأسو.[2] ففي القرى والمدن فقد كان كل منها تشكل تجمعا خاصا ،متكونين من مجموعة أفراد وأسر جاؤوا إليها من كل الجهات نتيجة الضغط في بلدانهم. يربطهم التعاون العلمي والديني والمحبة ولم يكونوا وحدة تقف موقفا موحدا في حالات الدفاع.

وإن الإباضيين كانوا يعيشون باستمرار في مجتمعات بسيطة نائية، وتشريعاتهم لم تتأثر بتغييرات البنية والزمن، وبقيت في شكلها الأصلي. كما حاول الإباضيون بإستمرار العيش وفقا للشرع الإلهي، وأن يكيفوه حيث هم في كل الأوقات، وفي مرحلة باكرة وضعت أصول خاصة لمراحل المختلفة من الأوضاع السياسية والدينية، وبموجبها كان على المجتمع الإباضي أن يحافظ على وجوده.[3]

وقد تهيأت ظروف الثورة لهم على بعض الدول، وتيسرت لهم الأسباب لإقامة دولة جديدة في بعض الأحيان، ولكنهم لم يشاؤوا أن يشغلو أنفسهم بذلك و لا أن يتطلعو إليه، ولعلّ من أبرز الشواهد على ذلك ما كان عليه الإباضية في عصر أبي القاسم يزيد بن مخلد وذلك في عهد معز الدين الفاطمي.[4]

ولكن بعد انقراض الدولة الرستمية، أحس الإباضية بضعفهم وعجزهم عن إقامة دولة لهم. لذلك فكر شيوخهم في ضرورة إيجاد نظام يحلُّ محلَّ الإمامة أو الدولة للحفاظ على كيانهمم ومذهبهم.

1- موسى لقبال، المرجع السابق، ص343.

2- بكير بن سعيد أعوشن، المرجع السابق، ص 57-58.

3- دراسات عن الإباضية ص 295.

4- علي يحي معمر، المرجع السابق، ص 200

فكان النظام الذي ابتكره شيوخ الإباضية "نظام العزابة" بمثابة "السلطان العادل في العدل الأسوء".[1] فالإباضيون بعد إدراكهم أن إمامة الظهور لا يمكن تحقيقها في هذه الحال لأن الإباضية لا قوة لهم في هذا الأمر السياسي. فمن هنا لجأ الإباضية لنظام العزابة حفاظا على وجودهم وعقائدهم المتناقضة مع الشيعة التي تجعل حكمها قائم على الإمام المعصوم الذي رفع لدرجة الألوهية.[2]

وظل الإباضيون يحافظون على كيانهم وتراثهم في ميزاب وجبل نفوسة وجربة. وقد ساعدهم على ذلك النظام الذي إلتزموا به في حياتهم وإعتبروه البديل لدولتهم، وهذا النظام يتولى الإشراف على جميع نواحي الحياة في المجتمع الإباضي، وهو ما اصطلح تسميته بنظام العزابة.[3]

فعاش الإباضيون في جميع هذه الأمكنة دون أن يكون لهم كيان سياسي، إنما عاشوا تحت هذا النظام، وكان هذا أيسر حين تكون بلادهم غير خاضعة للدولة، وقد بلغ أنهم أصدروا عملة نقدية خاصة، فكانت تشبه جمهورية مستقلة و لكن لا يعلن نفسه كدولة ولا يدعيها.[4]

وكان الذي وضع أسسه أحد علماء الإباضية الأفذاذ هو أبو عبد الله محمد إبن بكر النفوسي سنة 409هـ . فمنذ أن جاء أعرض عن التفكير في قضية الحكم وتكوين دولة، وإعتبر نظام العزابة أحسن بديل عن قيام دولة وإتخذ له قواعد وأسس ودعا الناس للسير عليه ونفذه في حياته ودرس عليه تلاميذه اللذين يبلغون الميئات من جميع الإتجهات حيث كانوا يتسابقون لتنفيذ أومره.[5]

وما يتضح من كتب سير الطبقات للدرجيني فيما ورد عند أبي زكرياء وهو يتحدث عن سيرة أبي عبد الله أن الأسباب الدافعة لهذا النظام رغبة الإباضيين الحفاظ على مذهبهم بعد تفرق المعتنقين له وتشتت علماءه، فطلبوا من أبي عبد الله أن يرتب لهم الحلقة نظرا لكفاءته العلمية لكنه رفض ثم ألحو عليه. وبعد تفكير لشهور قبل منهم ذلك بعد أن إشترطهم،[6] وكان شرطه أن لا يسألوه أي مسألة إلا بعد مضي أربعة أشهر ولم تورد المصادر سبب ذلك. وربما ليتسنى له وضع اللوائح و القوانين.

1- الجعبري، المرجع السابق، ص75.

2- بكير بن سعيد أعوشن، المرجع السابق، ص 90.

3- احمد الياس حسين، المرجع السابق، ص 50.

4- علي يحي معمر، المرجع السابق، ص 186-187.

5- المرجع نفسه، ص 129.

6- أبي زكرياء، المصدر السابق، ص 174-175.

وهذا ما يبين لنا الحمل الثقيل الذي وضعه المشايخ الإباضية على أبي عبد الله حيث كانت له مسؤولية كبيرة و بعدما أستقر المقام بأبي عبد الله في وادي أريغ بقرية "تنسلي". وهي بتوقرت حاليا وتعرف ببلدة اعمر أمر أن يهيأ له غار يجتمع فيه التلاميذ للحلقة والدراسة.

والجدير بذكر أن هذا النظام كان أول مرة على هيئة حلقة العلم ثم ترقى إلى نظام إجتماعي يهتم بالشؤون الإجتماعية إذ قنن قوانينه العلامة أبو عمار عبد الكافي المتوفي سنة 570هـ.[1]

حيث كان عبارة عن حلقة علم متنقلة فهي حينًا في وادي أريغ و حينًا في وادي ورجلان وأحيانا في بادية بني مصعب (مزاب)، وقد تنقل إلى الحامة (بالجريد التونسي) وتدل أخباره أنها كانت مجالس للمذاكرة، وعلم وإستفساء وعبادة لم تكن مستقرة بمكان معين.[2] فزار آفريقية لكي يقسم أعضاء الحلقة على الأحياء للدعوة بالتأكيد للمذهب وتنقل إلى قسطيلية وفي طريقة إلى تلموست[3] عقد مجلسا في المسائل. وكان ينتقل لوادي بني مصعب التي كان يخرج إليها للحلقة في الربيع طالب للراحة وكان أهلها واصلية فرد معظمهم للوهبية.[4]

ومن هنا يجدر بنا أن نذكر أن أبي عبد الله محمد إبن بكر قد زار أريغ ومكث عند قبيلة البربرية المغراوية مبينا لهم طريق الإسلام الصحيح ومنهجه العلمي وفي سنة 409هـ إتخذ في آجلو بلدت أَعْمُر قرب تيقورت حاليا مدرسة تميزت بتربية إسلامية صارمة تشبه كثيرا التربية العسكرية.[5]

وعن تنقلاته أيضا يذكر أنها تميزت بالعدد الهائل من القبائل الذين ينتقلون معه، ويعين على رأس كل قبيلة شخص، وتعددت الأماكن لعدة أسباب.[6]

والهدف من هذا هو تكوين.رجال مخلصين و ذلك بتعويد أنصاره وطلابه على تحمل المشاق والتغلب على العقبات المادية والفكرية من أجل نشر الدعوة الإباضية.[7] وتبدوا عبقرية أبي عبد الله

1- الدرجيني، المصدر السابق، ص 170 .

2- البرادي أبو قاسم إبراهيم، الجواهر، طبعة حجرية. طبع على ذمة ملتزمة محمد بن يوسف البارون وشريكه الحاج سليمان بن مسعود المجدلي، د.ت، ص 287.

3- تلموست تقع بالجنوب التونسي، انظر: معجم أعلام الإباضية، ج1، مرجع سابق، ص 325

4- أبي زكرياء، المصدر السابق، ص 255-259-328.

5- بكير بن سعيد أعوشن، المرجع السابق، ص 96.

6- أبي زكرياء، المصدر السابق، ص 322.

7- بكير بن سعيد أعوشن، المرجع السابق، ص 96.

واضحة في تنظيمه الدقيق الذي وضعه للحلقة، وهو أمر لم يسبق إليه من قبل، وإنما كانت الحلقات فيما يبدوا لا تخضع لمثل هذا النظام المحكم الدقيق الذي تروي تفاصيله كتاب السير.[1]

وإذا أردنا تعريفا لنظام مجلس العزابنة فنجد:

لغة: إشتقت كلمة عزابة من العزوب عن الشيء وهو البعد عنه، والعزابة بمعنى العزلة والغربة ويقصد بها هنا الإنقطاع لخدمة المصلحة العامة.[2] وجاء في لسان العرب (عزب رجل عزب ومعزا به لا أهل له وعزبت الإبل: أبعدت في المرعى لا تروح وأعزبها صاحبها. ولغة هي الغربة أو البعد وعزبه أبعده.[3]

إصطلاحا: نظام العزابة، وحلقة العزابة، وهيئة العزابة، ومجلس العزابة، كلها مصطلحات تستعمل في المراجع مترادفات، وهي في أصلها تمثل مراحل تطور النظام.[4]

وأيضا نظام العزابة: هيئة تقوم مقام إمامة الظهور في مسلك الكتمان عند إباضية المغرب.[5]

يقول الدرجيني: "أول من أطلق لفظ عزابي أياما أبي عبد الله محمد إبن بكر لما أسس الحلقة و رتّب قوانينها". لذلك صار هذا النّظام يدعى بنظام العزابة. فالقوانين التي وضعها أبو عبد الله محمد بن بكر تتمثّل في:الشّروط التي يجب أن تتوفّر فيمن يدخل إلى الحلقة وأعضاؤها ومهام كل واحد منهم و الذين صنفهم حسب الدرجيني إلى أمرين:

شيخ الحلقة والعرفاء والمأمورين:[6] وهي الهيئة العليا الدينية في البلد، كما هي في البلاد الإباضية (جميع المجتمعات الإباضية بالمغرب) ولها نفوذ روحي واسع على العامة، ولها السلطة المطلقة في كل ما له علاقة بالدين، وكذلك السلطة على الحياة الإجتماعية والتربوية تعود بداية استعمال هذا المصطلح إلى أيام أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي، حينما أسس الحلقة ورتب قوانينها في القرن 5ه/11م.[7]

1- البرادي ابو القاسم ابن ابراهيم، المصدر السابق، ص 287.

2- احمد الياس حسين، المرجع السابق، ص 51.

3- بكير بن سعيد أعوشن، مرجع سابق ص 102.

4- مجموعة باحثين، معجم مصطلحات الإباضية، ط1، وزارة الأوقاف، سلطنة عمان ، 2008، ج2 ، ص 702.

5- المرجع نفسه.

6- الدرجيني، المصدر السابق، ص 171

7- أبي زكرياء، المصدر السابق، ص 265.

شروط الإلتحاق بحلقة العزابة: من شروط الملتحق الجديد بهذه الحلقة ان تتوفر فيه شروط وهي:

- أن يكون حافظا لكتاب الله.

- أن يكون أديبا كيِّسا.

- أن يكون متزوجا لأن الزواج يحصن النفس.

- أن يكون بالغا مسلم، ذا أخلاق فاضلة، وعلم بالدين، والفقه والفتوى.[1]

- ان يستكمل مراحل الدراسة مع الرغبة في مواصلة العلم.

- أن لا تكون له مشاغل دنيوية تجعله يتردد على الأسواق و المحال العامة حفاظا على مهابته.

- ان يحافظ على زي العزابة الرسمي.[2]

ويقول أبو عمار عبد الكافي لا يدخل أي شخص حلقة عزابة إلا بتوفره الخصائص الأخلاقية: "أن يكون أديبا كيسا وطالبًا للعلم وأن يغسل جسده بماء ويغسل قلبه بماء وسدر ".[3]

ويقول الدرجيني عن ما فرضه أبي بكر في هيئة لباس عزابة وهي أن يحلق رأسه، ولا يتركه طويل لكي يتجرد من طريقة أهل الدنيا ولا يلبس ثوبا مصبوغا إلا البياض، ولا بأس إن إقتصر على ملحفة والأفضل إن لبس قميصا وليس ضروريا أن يلبس عمامة.[4]

فمن خلال رواية الوسياني يذكر عندما إرتحل أبي بكر إلى الساحل إلتقى برجل كاد أن يهجره[5] لأسباب عدة فقد وصف لباسه، ولم يرق له، لأن العزابة كان لهم لباس خاص ولا يحبون لباس الفاخر.

1- محمد صالح ناصر ، حلقة العزابة، ص 29-30.

2- احمد الياس حسين، المرجع السابق، ص 52-53.

3- بكير بن سعيد أعوشن، مرجع سابق، ص 104.

4- الدرجيني، المصدر السابق، ص 171.

5- الهجران: يعرفه الدرجيني "الهجران أو الإبعاد ألفاظ تترادف على معنى واحد و ذلك متى أجرم واحد من اهل الطريق جرما، أو ظهرت عليه خزية أو أتى بنقيصة من قول أو عمل أو تضييع فإنه يهاجره أهل الصلاح فلا يكلم ولا يُك.لم ولا يحضر جماعة ولا يؤم ولا يؤاكل و لا يجالس و كان بقاؤه في وحشة الهجران يقدر عظم الجرم و الصغر.." الدرجيني، المصدر السابق، ص5.

وجاء في الرواية "..و عرفته لبس كساء حشميا وفي رجله شماشق قلعية وفي يده مزراق يرفعه ويضع على رأسه شاشية حمراء فصافحوهم و أدخلوهم المنزل و قد عولت على هجرانه".[1]

أعضاء هيئة العزابة و وظائفهم :

شيخ العزابة: ويكون أكثرهم عِلمًا وذكاء وأقدرهم على حل المشاكل الإجتماعية وهو الذي يتولى الإرشاد والتوجيه ويبلغ كذلك المقررات التي إتخذتها هيئة العزامة إلى عامة الناس في المجال الإجتماعي[2]ويقوم بالوعظ والتذكير و يعلن الولاية[3] البراءة.[4]

الإمام: إمام للصلاة يؤم الجماعة في صلوات الخمس وخطب الجمعة ويشرف على عقود الزواج.

المؤذن: يقوم بالأذان للصلاة وضبط توقيت الصلوات وينوم الإمام عند غيابه.[5]

- وكيلان لأوقاف المسجد: إنهما مسؤولان على أوقاف المسجد و المقابر ،فهما يسعيان إلى جلب منفعة وصيانة أوقات المساجد وبالتالي دفع كل ما يضر بمصالح المسجد.

- المعلمون: يكون عددهم بين ثلاثة وخمسة أعضاء وهم المسؤولون عن نظام المسجد وعن شؤون المحاضر القرآنية نظاما وتربية ودراسة.

- المسؤولون الإجتماعيون: هم أشخاص يقومون بغسل الموتى ومراقبة وصاياهم وتقييم تركاتهم على حسب أحكام الإسلام. وقد يزيد عددهم على خمسة أعضاء.[6]

1- الوسياني، سير الوسياني، ص67

2- بكير بن سعيد أعوشن، المرجع السابق، ص 105.

3- الولاية: تعريفها لغة: هي القرب والقيام للغير بالأمر والنصر والاهتمام بالمصالح والحفظ والاتصال. وتعريفها إصطلاحا هي الإهتمام بمصالح الغير والإتصال به. وأصل الولاية: الموافقة في الدين، فكل من وافقك في الدين فهو وليك فتجب بالعمل الصالح، لدى الهيئة الحسنة أي تكرير للعمل الصالح ولا تجب إلا لمن علم منه خير، وهو المستحق لها. ابي العباس احمد بن سعد الشماخي وابي سليمان داود بن ابراهيم التلاني، مقدمة التوحيد وشروحها، تر: أبو حفص عمرو بن جميع، مسقط، سلطنة عمان، 1989، ص91 - 92.

4- البراءة: تعريفها لغة: البعد عن الشيء والتخلص منه. تعريفها إصطلاحا : البغض و الشتم و اللعن للكافر لكفره إنما هو سبب لكفره، لا بسبب شيء آخر غير الكفر، فإن ذلك لا يسمى براءة في الشرع، ويدل على وجوبها آيات. نور الدين السالمي، مشارق أنوار العقول، ط1، دار الجيل، 1989، ص 340.

5- معجم مصطلحات الإباضية، ج2، الرجع السابق، ص 703.

6- بكير بن سعيد أعوشن، المرجع السابق، ص 105.

وقاضي البلد يفصل في النوازل و يؤدب الصبيان.[1] ومن المجالس المساعدة لنظام العزابة نذكر :

أ- :مجلس عمي سعيد:[2] وهو المجلس الأعلى للعزابة في وادي ميزاب، سمي بمجلس عمي سعيد أو "أمي سعيد" لأنه كان يعقد إجتماعاته في روضة الشيخ عمي سعيد بن علي الجربي بمدينة غرداية بميزاب.[3]

وهو ايضا مجلس ديني إجتماعي يضم بعض عزابة مدن وادي ميزاب السبع إضافة إلى عزابة ورجلان وكان لكل مدينة مجلس الديني الذي يستقل بأموره داخليا فهو يضم كبار العلماء عزابة منبينهم العلامة الشيخ إبراهيم البيوض،[4] فكل مدينة يمثلها يمثلها ثلاثة أعضاء في الغالب تتوفر فيه الشروط المناسبة منبين.[5] ويعين أكثر أعضائه علما وشجاعة لرئاسته،فيكون شيخ وادي ميزاب كله ،توضع عمامة على رأسه وهذا تعميم كالتتويج دليل على مشيخة والرئاسة و ينعقد هذا المجلس في دورات عادية، وينعقد بصفة طارئة إذا دعت الضرورة إلى ذلك.[6]

وتتمثل مهمة مجلس عمي السعيد في فظ المشاكل العامة التي تحدث في وادي ميزاب والإجماع على الطرق التي يجب سلوكها للخروج من الأزمات التي تحدث.

1- إبراهيم بابا عمو أعزام، غصن البان في تاريخ ورجلان، مخطوط بمكتبة البعث الإسلامي بورقلة، ص 157.

2- عمي السعيد: هو سعيد بن علي بن يحيى يدر بن سليمان بن عثمان الجربي الخيري (أبو صالح) الشهير بعمي سعيد (ت: محرم 898 هـ /جانفي 1492م) علم أطبقت شهرته الأفاق. وقد أشتهر بعمي سعيد. ولد في قرية أجيم بجزيرة جربة تونس وبها نشأ وأخذ العلم عن أبي النجاة يونس بن سعيد بن يحيى إبن تعاريت الصدغياني الجربي، وأبي بكر بن عيسى الباروني. وتوفى بغرداية و دفن في مقبرة المعروفة بإسمه وفي روضتها يجتمع عزابة القصور السلعة و ورجلان لمناقشة وإتخاذ القرارات فيما يجد الناس من الأمور الدينية وإجتماعية والثقافية وإقتصادية وسياسية. معجم الأعلام الاباضية، ج3، المرجع السابق، ص 376.

3- معجم مصطلحات الإباضية، ج2، المرجع السابق، ص 750.

4- ولد الإمام إبراهيم بيوض عام 1401هـ بالقرارة وادي ميزاب، حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، ثم إنكب على دراسة علوم اللغة والشريعة، وسمح له شيخه عمر بن يحي تلميذ شيخ أطفيش بحضور الإجتماعات السرية التي تجمع أعيان البلد لإصلاح ومحاربة الفساد والوقوف في وجه الإستعمار. وأصبح مدرس اللغة العربية والأداب والفقه لتلاميذ المدرسة التي نشأ فيها ثم أسندت إليه إدارتها عام ،1921 وفي عام 1923 إنظم إلى حلقة العزابة، ثم أسندت إليه مشيخة المسجد فأصبح الواعظ الخطيب والمتحدث بهيئة عزابة القرارة ثم رئيس الهيئة الدينية عام 1939 وبقي كذلك حتى وفاته في عام 1981، وكان مفسرا للقرآن ومفتيا حتى بلغ درجة الاجتهاد. راجع أكثر: مجموعة باحثين، معجم مشاهير المغاربة، منشورات جامعة الجزائر، الجزائر، 1995، ص 103-105.

5- بكير بن سعيد أعوشن، المرجع السابق، ص 111.

6- معجم مصطلحات الإباضية، ج 2، المرجع السابق، ص 750.

ومن مهام مجلس عمي سعيد :

- النظر و إصدار بعض الفتاوى إزاء بعض قضايا ذلك العصر.

- إشراف على الأوقاف الإباضية، داخل مدن الجزائر و الحجاز و دعمها ماديا وأدبيا.[1]

- تولية المشايخ في المساجد للوعظ والإفتاء.

- وضع اللوائح الداخلية التي تخص سير الحياة العامة كتحديد المكاييل والموازين إلخ.[2]

-النظر في القضايا التي تحكم فيها القضاة حكما لا يرتضيه أحد الخصمين، حين ترفع إليه.

- سن القوانين في دائرة الدين لتصبح عرفا إجتماعيا وتقاليد قارة للمجتمع الميزابي، في الأمور الهامة التي قد لا تبين فيها خاصة كل مدينة وجه الصواب وتسمى هذه القوانين "إتفاقيات عمي سعيد".[3]

إلا أنه زمن الإستعمار الفرنسي نزعت منه تلك الوظائف الحيوية، ولم يبق له إلا المجال الديني وبعض القضايا الإجتماعية المحلية وألغيت كثير من القوانين.[4]

ب/ مجلس تمسردين: من أهم المجالس المساعدة لنظام العزابة فكما يوجد مجلس خاص بالرجال يوجد أيضا الخاص بالنساء. ويعد هذا المجلس تكميلا لنظام العزابة حيث يهتم بمعالجة القضايا الدينية والإجتماعية والأخلاقية المتعلقة بحياة العنصر النسوي في وادي ميزاب.[5]

حيث لم تهمل حلقة العزابة المرأة المزابية فخصصت لها هيئة دينية نسائية تشرف عليها الفقيهات في الدين وهذه النساء وهي أزواج العزابة أو بناتهم وبدورهن يعلمن النساء وفتيات القصر فتسمى تيمسيردين باللغة الميزابية هذه الهيئة النسائية.[6]

إن تنظيم مجالس النساء في قرى وادي ميزاب ظهر مع تأسيس نظام حلقات العزابة حسبما يبدو، ولا يعرف تاريخ محدود لضبط ذلك، لكن المؤكد أنه كان موجودا في القرن الناسع الهجري (الخامس عشر

1- بكير بن سعيد أعوشن، المرجع السابق، ص 112.

2- معجم مصطلحات الإباضية، ج2، المرجع السابق، ص 750.

3- شهي عبد العزيز، المرجع السابق، ص 194.

4- معجم مصطلحات الإباضية، ج2، المرجع السابق، ص 750.

5- بكير بن سعيد أعوشن، المرجع السابق، ص 112-113.

6- حمو محمد عيسى، دور المزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، مج1، دار البعث، قسنطينة، د،ت، ص 175.

ميلادي) وأطلق عليه بالمحلية (تمسردين) أي الغاسلات لأنهن يقمن بغسل الأموات من النساء والأطفال.[1] ومن أهم مهامه نلخصها فيما يلي:

- نشر الفضيلة الأخلاقية من خلال حلقات الدرس والوعظ والتوجيه الإسلامي الخالص ومحاربة الآفات الاجتماعية والبدع الفاسدة المتناقضة مع الشريعة الإسلامية.[2]

- حضور المآتم وتذكير أهل الميت بالصبر وإحتساب الأجر والثواب، وتوعية المعزيات بإلقاء الدروس الدينية المفيدة وقراءة القرآن. والفصل في بعض المشاكل العائلية العويصة، وكل عزابية تتكلف بمشاكل عشيرتها، لأن كل عشيرة عضو أو أكثر يمثلها وليس لتمسريدين قرار حتي يعرض على مجلس العزابة الذي له الكلمة الأخيرة.[3]

- إجراء تدريبات "حلقة تمسيرين" للمصليّات الجديدات داخل كل قصر خلال عشرة أيام على ثلاث فترات سنويا، تتعلمن خلالها طريقة الصلاة وحفظ القرآن الكريم وكل ما له علاقة بالدين. ومن مهمتها أيضا غسل الموتى من النساء، وتنظيم حفلات الزفاف في القاعة المخصصة للنساء.

- عقد مجلس تمسريدين لمؤتمر لا إله إلا الله في إحدى مدن غرداية، وهو ملتقى نسوي سنوي تحضره النساء من جميع قرى وادي ميزاب لتدارس المستجدات وتوعية النساء بالأخلاق الإسلامية وغرس في النشأ الصغير والأولاد القيم الأخلاقية القرآنية من خلال سلوك الأسرة.[4]

الدور الديني للعزابة: شهد العالم الإسلامي من القرن الثامن هجري للثالث عشر هجري بالإنحطاط الفكري والجهل والفقر بالتالي ذبلت الحضارة الإسلامية ولم تسلم منها الجزائر و وادي ميزاب.[5]

فعمل الشيوخ الإباضية لتغيير ذلك من الوعظ والإرشاد وقمع العصاة والمتمردين على الشريعة ومقاومة البدع وتعليم العامة أمر دينهم ودنياهم.[6] وبعد الحرب العالمية الأولى حول الشيخ بيوض مسجد

1- محمد ناصر، المرجع السابق، ص 44-43.

2- بكير بن سعيد أعوشن، المرجع السابق، ص 109-110.

3- حلقة العزابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي مجلس تمسريدين نموذجا، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، عدد السابع، 2014، ص 407.

4- حمو محمد عيسى، المرجع السابق، ص 176.

5- بكير بن سعيد أعوشن، المرجع السابق، ص 113.

6- محمد ناصر، المرجع السابق، ص 29-30.

في القرارة إلى مركز إشعاع علمي، وأصبح المسجد في عهده جامعة مفتوحة يؤمها كل الناس وكان يرسل أعضاؤه لخارج وادي ميزاب يقومون بدورات الوعظ والإرشاد.[1]

الدور الاجتماعي للعزابة: ترعى حلقة العزابة حياة الأسر، وهي المسؤولة عن الزكاة و لا تدفع الزكاة لأحد إذ تحققت أنه مستحق وأنه مؤدي لكل الشعائر الدينية كما أنها تشرف على نفقات الزواج وتحديد المهر حتى لا تظهر الفروقات المادية، والتنافس بين العائلات بطريقة تؤثر علي حياة الفقير.[2] كما تشرف على نفقات الكفالة والحضانة وتقديم الأمناء على الفقراء واليتامى بحيث لا يجد الأغنياء منطلقا لحرياتهم في التغالي بالمهر والنفقات على الفقراء فحريتهم مقيدة ولا يجد الفقير الراغب في الزواج تحرجا على تحمل مؤونة زواجه.[3]

ولا يقتصر دور العزابة على مشاركة المظهرية في المناسبات إشرافا وتسييرا بل هم يؤدون دورا أساسيا في وضع نظامها المحكم، حتى لا ينحرف المجتمع وراء مظاهر الإسراف والإنحلال. وحتى لا يفقد المجتمع أهم مقوم له وهو التوازن بين أفراده.[4]

وكانت تقيم دروس في الأعراس تشتمل في حكمة الزواج والعشيرة الحسنة والحياة المنزلية والتنديد بالهفوات والكسل والإسراف وسوء العشيرة كما يحتوي أيضا على تربية الأطفال وتعليمهم.

الدور الإقتصادي للعزابة: تشرف هيئة العزابة على الأسواق العامة في مدن ميزاب ولاعضائها فيها مقاعد خاصة محترمة تجلس عليها للإشراف على الواردات والسلع وإستقبال القوافل من أطراف الصحراء قديما ومراقبة الأسعار، وتتدخل في مراقبة البيع والشراء في الأسواق ومحاربة الانحراف التجاري مثل الغش والتطفيف والاستغلال والاحتكار وكل المظاهر التي نهت الشريعة الإسلامية عنها.[5]

وكان رئيس العزابة هو الذي يعلن عن افتتاح السوق بواسطة المنادي، بعد التكبير والبسملة والتهليل والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن وقع تنازع أو مشادة في المعاملات بالسوق فإن العزابة يتولون الفصل والحكم في الأمر .[6]

1- عبد العزيز شهبي، المرجع السابق، ص 177.

2- حلقة العزابة، المرجع السابق، ص 407.

3- المرجع نفسه.

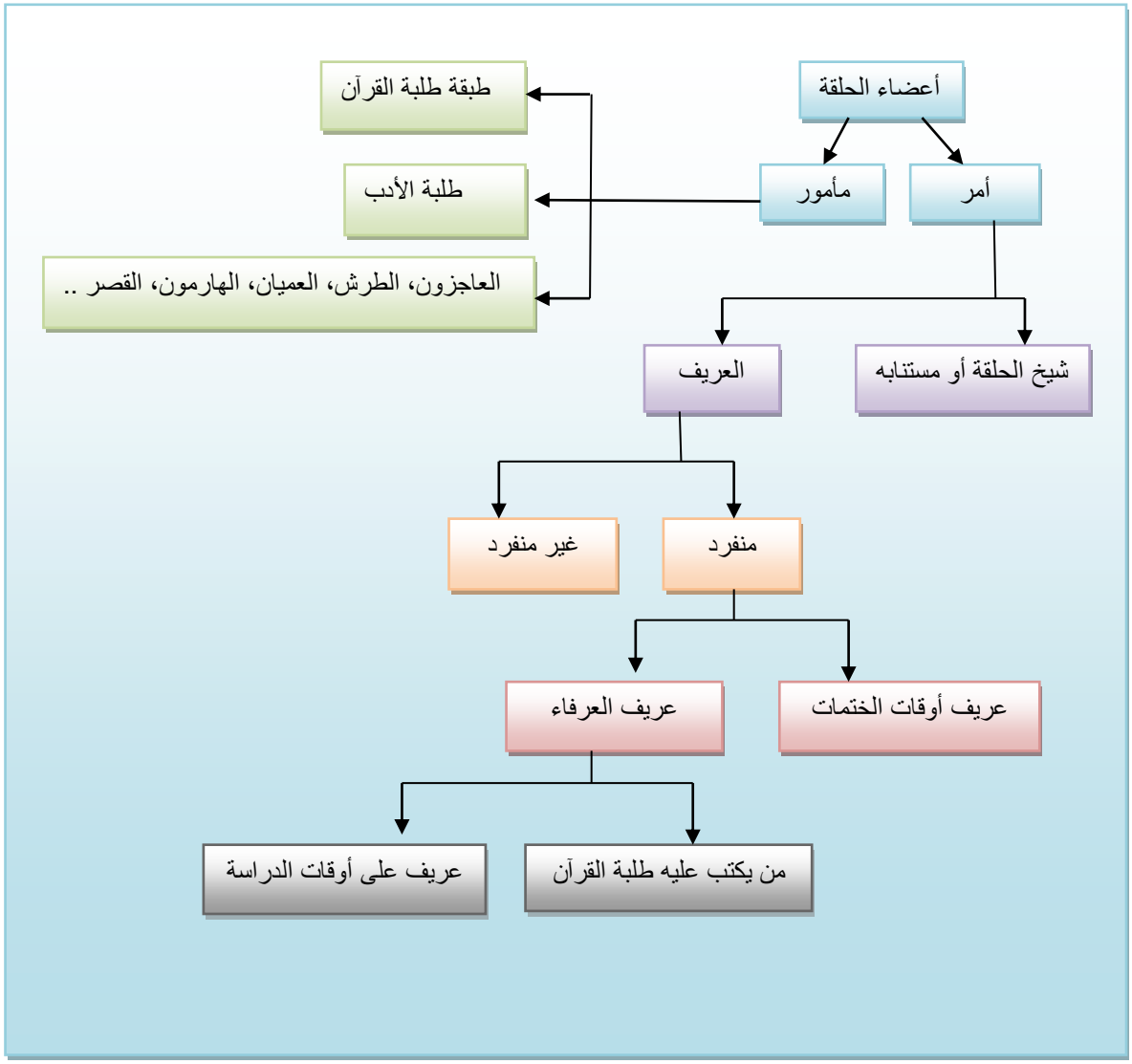
4- عبد العزيز شهبي، المرجع السابق، ص 180.

5- المرجع نفسه، ص 183.

6- . حلقة العزابة، المرجع السابق، ص 407.

أعضاء نظام العزابة ومهامهم حسب المؤلف الدرجيني

(اعادة رسم وتنظيم المخطط من الطالبين)



خاتمة

خاتمة:

ختام هذه الدراسة لموضوع سقوط مدينة تيهرت وتداعياتها على فرق الإباضية خلصنا إلى جملة من الاستنتاجات لعل أهمها:

إن تيهرت بلغت شأنا عظيما من الرقي والازدهار، حتى أنها كانت تشبه وتقارن بقرطبة وبغداد ودمشق.. وكانت تدعى بعراق المغرب، وكان بها من القصور العالية والمنازل الرفيعة والحصون والمساجد والمنتزهات ....

كما عرفت الدولة الرستمية ازدهارا اقتصاديا واسعا، فكان أبرز أثر وأوضحه على المجتمع الرستمي، والحقيقة أن العوامل المساعدة لذلك كانت متوفرة، كالعدالة والأمن في الداخلي، إضافة للعلاقات الحسنة مع الجيران، كل هذا أدى لتحقيق ازدهار ورخاء.

أما بخصوص الأوضاع الاجتماعية، فبقيام الدولة الرستمية تحول المجتمع من حياة البداوة إلى حياة الاستقرار، وإنشاء المدن وامتداد العمران، وعرفت تحولات كبرى في حياة المجتمع الرستمي عامة والتيهرتي خاصة، بقدوم عناصر شرقية وأندلسية وحتى أوربية للإقامة في كنف الدولة.

أما الحياة الفكرية فازدهرت وتنوعت، وأكبر دليل على ذلك مكتبة معصومة وما إحتوته من مجلدات، وأيضا بلغت تيهرت مبلغا كبير في العلوم والتآليف والمناظرات، وإهتمامهم بالفكر وتشجيعم للمفكرين والعلماء، فمن شروطهم للإمامة العلم والورع.

لكن فترة أواخر الدولة الرستمية إتسمت بضعف الأئمة، وإنحرافهم عن مبادئ المذهب، ثم تفاقم الخلافات داخل البيت الرستمي وقيام أفراد البيت بتدبير الخلافات والإغتيالات ضد بعضهم البعض لتولي الحكم. والتي أثرت بشكل سلبي على الوضع الإقتصادي والإجتماعي والفكري لمدينة تيهرت.

فكان سقوط الدولة الرستمية نتيجة طبيعية وحتمية لما وصلت إليه الأمور من تدهور وانحطاط، ولما آلت إليه الأوضاع الداخلية من تردي وفتن وبسبب التصارع على الحكم،

وضعف الارتباط بالمذهب وغيرها، هذه الظروف استغلها الشيعة الفاطميون لينهوا الدولة الرستمية سنة (296هـ/ 909م). وبعد سقوطها غدا النزاع من أجلها طابع الحياة السياسة للمدينة، والتي أدت إلى إرتحال الأهالي منها و خرابها.

كما ظهرت بعد ذلك حركة معارضة داخلية لوجود الفاطميين في تيهرت من طرف الإباضيين. وثوارتهم ضد الفاطميين كثورة أبي يزيد مخلد وتهديدها لكيان الفاطمين وثورات أبي خزر و غيرها.. وكثرت الحروب في مدينة تيهرت والنزاع من أجلها.

كان لسقوط الإمامة الرستمية ان سار الإباضية جماعات طائفية منتشرة في الصحراء كورجلان وجبل نفوسة وجربة و وادي ميزاب وبعد ماض طويل أصبح الإباضيون يعيشون بدون كيان سياسي ونظام جامع.

ولما أدرك فرق الإباضية أن ليس بإستطاعتهم تأسيس الإمامة والعودة إلى أمجادهم لجأو إلى نظام العزابة حفاظا على وجودهم و عقائدهم. والذي كان له دور كبير في ذلك. وكان لأبو عبد الله بن بكر دور بارز في تأسيس نظام العزابة.

ونظام حلقة العزابة خاص بإباضية المغرب، دون إباضية المشرق. وإندثر هذا النظام من جبل نفوسة في ليبيا وجربة في تونس، ومزال قائما في جنوب الجزائر. وبعبارة دقيقة عند إباضية وادي ميزاب و ورجلان. ويعتبران مجلس عمي سعيد ومجلس تمدسريدين من أكثر مجالس مساعدة وأهمية لنظام عزابة. كما ان مجلس عمي سعيد يعقد مرة واحدة في سنة يضم جميع عزابة قرى وادي ميزاب و ورجلان.

البيبليوغرافيا

أ/- المصادر:

1. إبراهيم بابا عمو أعزام، غصن البان في تاريخ ورجلان، مخطوط بمكتبة البعث الإسلامي، ورقلة، الجزائر.
2. إبن الأثير ، الكامل في التاريخ، بيت الأفكار الدولية، السعودية، د.ت.
3. إبن الحزم، رسائل ابن حزم الأندلسي، تح: إحسان عباس، المؤسسة العربية للنشر، الأردن، ج4.
4. إبن الحوقل أبو القاسم النصيبي 368ه/979م، صورة الأرض، مكتبة دار الحياة، بيروت، 1992.
5. إبن الصغير، أخبار الأئمة الرستمية وسيرهم، تح و تق: محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.
6. إبن العذارى المراكشي (ت. ق7ه/13م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح. كولان ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ج1،ج2.
7. إبن خلدون عبد الرحمان بن محمد. ت808ه/1405، العبر والديوان المبتدأ والخبر للعجم والبربر ومن عناصرهم من ذوي سلطان الأكبر، تح: تركي فرحان مصطفى، ط1، دار الإحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 1999.
8. ابن منظور، لسان العرب، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 1993، ط2، ج 12.
9. أبو الربيع سليمان بن عبد السلام الوسياني، سير الوسياني، تح: عمر بن لقمان حمو سليمان بوعصبانة، وزارة التراث، مسقط عمان، 2009، ط1، ج1.
10. ابي العباس احمد بن سعد الشماخي وابي سليمان داود بن ابراهيم التلاني، مقدمة التوحيد وشروحها، تر: أبو حفص عمرو بن جميع، مسقط، سلطنة عمان، 1989.
11. أبي زكرياء يحيى بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، المعروف بتاريخ أبي زكرياء، حققه و وضع هوامشه إسماعيل العربي، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1982.
12. ابي عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد، 1968.
13. البرادي أبو القاسم بن إبراهيم، الجواهر، طبعة الحجرية، طبع على ذمة ملتزمة محمد بن يوسف البارون وشريكه الحاج سليمان بن مسعود المجدلي.
14. الحسن بن موسى النوبختي، فرق الشيعة، تح وتق: هبة الدين الشهرستاني، منشورات الرضا، بيروت، 2012.
15. الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد، طبقات المشايخ بالمغرب، حققه وقام بطبعه إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1984.
16. سليمان بن عبد الله الباروني باشا، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، تح: أحمد كروم وعمر بازين ومصطفى بن أدريسو ، دار البعث، قسنطينة، الجزائر ، 2002 ، ط3، ج 2.
17. القاضي النعمان المغربي، إفتتاح الدعوة، تح: فرحات الدشراوي، التونسية للتوزيع، تونس، 1975.

18. كاتب مراكشي، الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1986، ج1.

ب/- المراجع:

1. إبراهيم بكبير، الدولة الرستمية (160-296هـ/777-909م) دراسة في الأوضاع والحياة الفكرية، ط2، نشر جمعية التراث، الجزائر، 1993.
2. أحمد إلياس حسين، الإباضية في المغرب العربي، مكتبة الضامري، ط1، سلطنة عمان، 1992.
3. بكير بن سعيد أعوشت، وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية، المطبعة العربية، الجزائر، 1991.
4. جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط للقرنين (04/03هـ)-(10/09م) ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. 1992.
5. الحسن عبد الوهاب حسني، خلاصة تاريخ تونس، الدار التونسية للنشر وتوزيع، تونس، 1968.
6. حمو محمد عيسى، دور المزابين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا ،مج1، دار البعث، قسنطينة. د.ت.
7. رشيد بروبية، الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984. ج3.
8. زهير تغلات، الفكر السياسي الإباضي من خلال مؤلفات جابر إبن زيد وسالم بن ذكوان الهلالي والبرادي والشماخي، الدار التونسية للكتاب، تونس، 2014.
9. صالح بن أحمد البوسعيدي، رواية الحديث عند الإباضية، كلية الدراسات الفقهية، جامعة آل البيت، الأردن، 200، ط1.
10. عبد العزيز شهبي، الزوايا والصوفية والعزابة والإحتلال الفرنسي، دار الغرب للنشر والتوزيع ، وهران، الجزائر، 2007.
11. علي يحيى معمر، الإباضية في موكب التاريخ، ط1، مطابع دار الكتاب العربي، مصر، 1964.
12. فاطمة بلهواري، الفاطميون وحركة المعارضة في المغرب الإسلامي، دار المسك للطباعة والنشر ، وزارة الثقافة، الجزائر، 2013.
13. فرحات الجعبري، نظام العزابة عند الاباضية الوهبية في جربة، المطبعة العصرية، تونس، 1975.
14. مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، دار الغرب الإسلامي، بيروت. ج2، د.ت.
15. محمد علي الدبوز، تاريخ المغرب الكبير، تاولت الثقافية، 2010. ج3.
16. محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس، ط3، دار القلم للنشر والتوزيع، القاهرة، 1987.
17. محمد ناصر، حلقة العزابة، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع ، سلطنة عمان، 1989.
18. محمود إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في البلاد من منتصف القرن الرابع الهجري، ط2، دار الثقافة للنشر والتوزيع، المغرب، 1985.
19. موسى لقبال، دور كتامة في توسع الخلافة الفاطمية، مطبعة زبانة، الجزائر ، 1979.

20. نور الدين السالمي، مشارق أنوار العقول، ط1، دار الجيل، 1989.

ت/- المقالات:

1. حلقة العزابة ودورها في بناء مجتمع مسجدي مجلس تمسردين نموذجا مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية (العدد السابع 1435_ 2014) .

ث/- المعاجم والقواميس والموسوعات:

1. مجموعة باحثين، معجم الأعلام الإباضية، قسم المغرب، جمعية التراث القرارة بغرداية، الجزائر، 1999.

2. مجموعة باحثين، معجم مشاهير المغاربة، منشورات جامعة الجزائر، الجزائر، 1995.

3. مجموعة باحثين، معجم مصطلحات الإباضية، ط1، وزارة الأوقاف، سلطنة عمان، 2008.

ج/- أطروحات ورسائل جامعية:

1. فطيمة مطهري، مدينة تيهرت الرستمية دراسة تاريخية حضارية القرن 2و3هـ، رسالة ماجستير في تاريخ الغرب الإسلامي، جامعة تلمسان، 2009-2010.

فهرس المحتوى

رقم	الموضوع	صفحة
01	ورقة الواجهة	/
02	البسملة	/
03	شكروعرفان	/
04	إهداء	/
05	مختصرات	/
06	مقدمة	06-02
07	المبحث الأول: المبحث الأول : تاريخ مدينة تيهرت من النشأة إلى تاريخ السقوط 296هـ.	28-08
08	المطلب الأول: تاريخ مدينة تيهرت قبل 296هـ.	20-08
09	أ/- الأوضاع السياسية.	11-08
10	ب/- الأوضاع الإجتماعية.	14-12
11	الأوضاع الاقتصادية.	17-14
12	الحياة الفكرية.	20-17
13	المطلب الثاني: مدينة تيهرت وتداعيات سقوطها:	28-21
14	أولا: أسباب سقوط الدولة الرستمية.	26-21
15	ثانيا: نتائج سقوط مدينة تيهرت.	28-26
16	المبحث الثاني: أوضاع الاباضيين بعد سقوط تيهرت عام 296هـ.	49-30
17	المطلب الأول: انهيار النظام السياسي الاباضي بمدينة تيهرت.	36-30
18	المطلب الثاني: تغير المذهب الديني في المدينة تيهرت.	42-37
19	المطلب الثالث: طرد الاباضيين من المدين تيهرت	49-43
20	المبحث الثالث: انهيار حكم الاباضيين بتيهرت وتداعياته على جماعات الإباضية.	69-51
21	المطلب الأول: تشتت الجماعات الإباضية وانعزالها في جغرافية محددة.	58-51
22	المطلب الثاني: تحول الإباضية إلى مجتمع مصغر نظام مجلس العزابة مثالا.	69-59
23	خاتمة	72-70
24	ببليوغرافيا	76-73
25	فهرس المحتوى	78-77